السيدة

مريم

(عليها السلام)

في التراث المسيحي والعقيدة الإسلامية

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عباد
الاب الدكتور رفيق خوري
القس الدكتور نعيم عتيق
الشيخ د.محمد سليم محمد علي

PASSIA
الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – القدس

السيدة

مريم (عليها السلام)

في التراث المسيحي والعقيدة الإسلامية

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عباد
الاب الدكتور رفيق خوري
القس الدكتور نعيم عتيق
الشيخ د.محمد سليم محمد علي

PASSIA
الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – القدس

الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية في القدس **PASSIA** ، مؤسسة أكاديمية أهلية مستقلة، لا تسعى للربح أو التجارة أو المنفعة المالية، وغير مرتبطة بأية جهة حكومية أو حزبية أو تنظيمية أو طائفية، وتسعى من خلال برامجها إلى تعميم الفائدة من المعلومة الصحيحة والتحليل المنهجي وإعداد ونشر بحوث ودراسات أكاديمية وعقد دورات تدريب وتعلم في قضايا المجتمع المدني والشؤون الدولية والدبلوماسية وأيضاً تفعيل منبر الحوار الوطني والديني، وتوثيق المسألة الفلسطينية في مضمونها الوطني وإطارها القومي العربي وبعدها الإنساني والدولي.

إن برنامج وحدة الدراسات الدينية في الجمعية يهدف إلى تشجيع ودعم المفكرين والمجتهدين والباحثين إلى التصدي لقضايا المجتمع والتطور الإنساني الحضاري على أسس العقيدة والإيمان ومن خلال بحوث وندوات ومؤتمرات لإثراء الحوار بين الناس لتطوير العلاقة الإنسانية والحضارية بين المؤمنين والموحدين وتوظيف هذا الجهد في إطار من الحرية الأكاديمية لإبراز التعددية الفكرية والمنهجية والإسهام في خدمة قضايا الوطن الفلسطيني.

ويأتي نشر هذا الكتاب
(السيدة «مريم عليها السلام» في التراث المسيحي والعقيدة الإسلامية)
ضمن برنامج وحدة الدراسات الدينية وبدعم من الممثلية الهولندية في رام الله.

جميع الحقوق © محفوظة للجمعية

الطبعة الأولى آب (أغسطس) ٢٠١١

"Virgin Mary"
In the Christian Heritage and Islamic Faith

First Edition – August. 2011
The book has been Kindly supported by
The Netherland Representative Office in Ramallah

PASSIA Publication
Tel.: 972-2-6264426، 6286566; Fax: 972-2-6282819
بريد إلكتروني: passia@passia.org
صفحة الإنترنت: http: //www.passia.org
PO Box 19545, Jerusalem

المحتويات:

مقدمة

د. مصطفى أبو صوي ٥

مريم سيدة الكون الاولى

أ.د عبد الرحمن عباد ٧-٢٢

مريم العذراء في التراث المسيحي

الأب د. رفيق خوري ٢٣-٣٦

القديسة مريم العذراء

القس د. نعيم عتيق ٣٧-٤١

الصديقة مريم العذراء في التراث المسيحي والعقيدة الإسلامية

الدكتور الشيخ محمد سليم محمد علي..... ٤٣-٥٣

مقدمة

السيدة مريم (عليها السلام) أم نبي الله المسيح عيسى (عليه السلام)، اصطفاها رب العالمين –سبحانه وتعالى– على نساء العالمين، وقد تفردت بأن ذكرها القرآن الكريم وسمى سورة من سوره باسمها وفي هذا تشريف وتكريم عظيمين، وهي صديقة بشهادة القرآن الكريم، إلا أنها وابنها (عليهما السلام) يظلان في دائرة الإنسانية، يأكلان الطعام ويمشيان في الأسواق، ويعتريهما ما يعتري بني آدم، وهما في هذا بعيدان عن التأليه، ومن صعب عليه استيعاب خلق إنسان دون أب، أحاله القرآن الكريم على قصة خلق آدم (عليه السلام) الذي لم يكن لديه أب أو أم، فالمسألة تتعلق بقدرة الله (جل وعلا).

وكانت أم مريم قد نذرت ما في بطنها محررا لله، فكانت أنثى، وقد ظنت أمها أنها ستضع مولودا ذكرا وظنت أن قبول الله تعالى لما في بطنها مشروطا بالذكورية، فإذا بمريم (عليها السلام) يتقبلها الله –جل وعلا– قبولا حسنا، فلم تقف انثويتها عائقا أمامها كما في كثير من الثقافات إلى يومنا هذا، وفي هذا رسالة الإسلام العامة أن مقياس المفاضلة والتكريم هو التقوى، الناس في ذلك سواسية، لا فرق بينهم بسبب لون أو لسان أو جنس:
«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ»[1] ومكانة مريم (عليها السلام) العالية، تطهيرا واصطفاء وتفضيلا، هبة من رب العالمين:

«وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ»[2]

ومما لا شك فيه أن المسلمين والمسيحيين– دون اليهود – يكنون في قلوبهم محبة عظيمة لمريم (عليها السلام) ويؤمنون بصلاحها وعفتها. وقد ذهب اللاهوت المسيحي إلى أبعد من ذلك فأصبحت مريم عند الأرثوذكس والكاثوليك، إذ بينهما تقاطع لاهوتي كبير، «أم الله» أو «أم الإله» كما أقر ذلك المجمع المسكوني الثالث المنعقد في إفسس عام ٤٣١م ، إلا أن البروتستانت يرفضون ذلك ، وكذلك لها أعياد دينية كثيرة لدى الأرثوذكس والكاثوليك، وفي الإجمال تعتبر الكنيسة البروتستنتية أن مريم امرأة عادية ويستثنى من ذلك الكنيسة الأنجليكانية، إلا أن وضع مريم في اللاهوت المسيحي هو أعقد من هذا بكثير.

وتأتي المقالات الأربع في هذا الكتيب لتعبر عن مكانة مريم (عليها السلام) في الإسلام –وإن كان فيها بعض الإسرائيليات– وكذلك في المسيحية، وتظل مثل هذه الدراسات المقارنة مصدرا غنيا للتعريف بعقيدة وفكر "الآخر"، ولأثراء الحوار بين أبناء الديانات الثلاث، عسى أن تنجم عن هذا الحوار قيما مشتركة توطد عرى العلاقة والعيش المشترك في ربوع فلسطين كلها، وتضع حدا للظلم الفادح القابع على صدر أهلها منذ أكثر من ستة عقود.

د. مصطفى أبو صوي
أستاذ الفلسفة والدراسات الاسلامية
جامعة القدس – القدس

١– سورة النحل: ٩٧
٢– آل عمران:٤٢

مريم سيدة الكون الاولى

أ.د عبد الرحمن عباد*

لا... ولن توجد امرأة أثارت عقول الناس مذ وجدت إلى يوم القيامة. مثل هذه التي اسمها (مريم) فهي عند اليهود متهمة بالزنا، وهو أقبح ما تُرمى به فتاة طاهرة، وعند المسيحيين يرونها أماً للإله، أما عند المسلمين فهي حاملة رسالة، وإن أنزلها بعض المسلمين منازل الأنبياء.[1]

من هي مريم

١- هي المرأة الوحيدة التي ذكر القرآن اسمها وهو مريم واسم والدها وهو عمران وكنى غيرها من النساء.
٢- ي المرأة الوحيدة التي تسمّت سورة كامة من القرآن باسمها هي سورة مريم.
٣- هي أول من يدخل الجنة من النساء.
٤- هي المرأة الوحيدة التي ذُكرت في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة.
٥- هي المرأة الوحيدة التي مهّد القرآن لولادتها تمهيداً ممتداً لقرون عديدة خلت.
٦- هي المرأة الوحيدة التي حاورتها الملائكة جهاراً ، وفي أكثر من زمان ومكان.
٧- هي المرأة الوحيدة التي ذُكرت باسمها في سورة الأنبياء مع الأنبياء.
٨- هي المرأة الوحيدة التي وُصفت بالصديقة والقانتة.
٩- هي المرأة الوحيدة المسماة التي بُشّرت قبل الحمل بالولد مع تسميته من السّماء.
١٠- المرأة الوحيدة التي جعلها الله آية للعالمين، وابنها.
١١- المرأة الوحيدة التي نُسب اليها ولدها؛ لان الأصل انتسابُ الأبناء لآبائهم وليس لامهاتهم
١٢- هي المرأة الأجمل، فعندما خلق الله الحور العين في نهاية الحسن والجمال، قالت الملائكة: الهنا ومولانا وسيدنا، هل خلقت خلقاً أحسن منهن (من الحور العين)؟ فجاءهم نداءٌ من العليّ الأعلى: اني خلقت سيدات نساء العالمين، وفضلهنّ على الحور العين، كفضل الشمس على الكواكب، وهنّ: آسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).[2]
١٣- المرأة التي تشتاق إليها الجنة، فقد ورد في الاثر: «اشتاقت الجنة إلى أربع نساء: مريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون، وخديجة زوج النبي وفاطمة بنت محمد.[3]

---

* أمين عام هيئة العلماء والدعاة ، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين – فلسطين.

مريم العذراء في الاسلام

عندما نتحدث عن السيدة مريم العذراء، أم المسيح –عليه السلام– نجد أنفسنا أمام شخصية أُمٍّ ليست كمثلها أخرى، بمن فيهن أمهات الانبياء ` إذ أن مريم وحدها هي التي اختصها القرآن الكريم بسورة من القرآن، كما أنها الوحيدة من بين النساء التي ذُكرت باسمها الصريح واسم أبيها معها، واسم ابنها.[٤]

معنى مريم: معناها العابدة بلسان أهل ذلك الزمان، إذ أن أمها قد أرادت أن تتقرب بها إلى الله وأرادت أن تكون معصومة من العصيان، فكان لها ما أرادت.[٥]

أُمها: حنّة بنت فاقوذا.

أبوها: عمران، من رؤساء بني اسرائيل، وأحبارهم، تزوج (حنّة) بينما تزوج (زكريا) باختها.

كبرت حنّة دون ان تنجب ولداً، وبينما كانت تستظل بظل شجرة أبصرت طائراً يزق فرخاً له، فاشتهت الولد، فدعت الله –سبحانه وتعالى– أن يهب لها ولداً، ونذرت أن تجعله في خدمة بيت المقدس وسدنته، لا يغادره.
ومات زوجها عمران وهي حامل، فلما وضعت، فوجئت بأنها أنثى فحزنت (حنّة) حزناً شديداً ؛ لان مولودها لم يكن ذكراً، ولهذا قالت في صيغة اعتذار إلى الله (رب إني وضعتها انثى وليس الذكر كالانثى) ؛ لان ألذكر هو الذي يصلح لخدمة البيت المقدس –في نظر يهود ذلك الزمان– فيرد الله عليها بوساطة الملائكة قائلين: **(والله أعلم بما وضعت)** لان الانثى التي وهبها الله لها ليس كالذكر الذي تمنته، بل هي أفضل منه وأفضل من كل نساء الأرض.

(والله أعلم بما وضعت) أي أن الله أعلم بالصفات الحميدة والمجيدة والطيبة التي اودعها الله فيها بما تتميز به على الرجال، الذين لن يستطيعوا أن يقوموا بالمهمة الجليلة التي ستقوم بها هذه الانثى[٦]

فلفتها في (خرقة) وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار من أبناء هارون وقالت لهم: **دونكم هذه هي المنذورة**

والنذر فيه قولان: النذر المستحب، وهو النذر الحر غير المقيد بشرط. كأن يقول المسلم: اني نذرت بناء مدرسة للأيتام، دون أن يقيد هذا بشرط على الله.

والنذر المشروط: وهو الذي يشترط الناذر فيه أمراً كي ينفّذه، نحو أن يقول رجل: اذا نجح ابني في الجامعة، أو حصل على الوظيفة الفلانية فسأذبح بقرة. فهذا النذر المشروط غير مستحب في الاسلام؛ لان الناذر كأنما يشترط للوفاء بنذره أن يحقق الله له ما طلب، وهذا لا يفعله إلا البخلاء، وهم مذمومون في الديانة الاسلامية وما سبقها من شرائع.
وعندما قدمت أم مريم الفتاة للأحبار قائلة لهم: دونكم هذه هي المنذورة، فتنافسوا فيها؛ كونها ابنة امامهم. فقال زكريا (زوج خالة مريم) أنا أحق بها لان خالتها عندي، فاختلفوا فيمن يكفلها، واتفقوا على الاقتراع، فالقوا أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء، ورسبت أقلامهم،

فأخذها وكفلها، واسترضع لها، حتى كبرت، فبنى لها غرفة في المسجد.

ويبدو أنها تكلمت وعقلت قبل أترابها بكثير ؛ لانها تربت بعين الله، لهذا كان عقلها ينضج وتنضج معها الحكمة التي علمها اياها النبي زكريا، وثبتها الله –سبحانه وتعالى– في دماغها، لتكون أكبر من عمرها وهو الذي يعبرون عنه في الوقت الحاضر بالعمر الزمني، والدليل على ذلك اجاباتها الفورية على اسئلة (سيدنا زكريا) عن مصدر الرزق الذي كان يجده عندها في غير أوانه.

قال الامام الباقر: ان مريم أول من سوهم عليه؛ أي أول من جرت عليه القرعة، ومعروف أن (عبد الله) والد الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد جرت عليه القرعة أيضاً.[٧]

أما المحراب الذي وضعت فيه مريم، فقد سُمي بهذا الاسم ؛ لانه محل محاربة الشيطان، ومحاربة النفس الأمارة بالسوء. [٨]

وبهذا تكون مريم هي العابدة التي تتقرب إلى الله بالطاعات، وتحارب أهواء الشيطان ونزعات النفس الأمارة بالسوء.

أوصافها:

أ. لا يمسها الشيطان: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: ما من بني آدم مولود إلا يمسّه الشيطان حتى يولد فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان غير مريم وابنها.[٩]
ب. أفضل النساء: فقد ذكر ابن عباس –رضي الله عنه– قال: خط رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الأرض أربعة خطوط فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم وامرأة فرعون.[١٠] وفي رواية عن علي بن أبي الب –رضي الله عنه– قال سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد بتقديم مريم بنت عمران.[١١]
ت. خير نساء العالمين: فقد حدث أنس بن مالك عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قال: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد.[١٢]
ث. المرأة الكاملة: فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران».[١٣] فمريم عند الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) هي الطاهرة المطهرة والمعدودة في النساء الاربع الكوامل، وسيدة نساء عصرها دون منازع، وسيدة نساء أهل الجنة، وهي أول من يدخل الجنة من النساء: فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: أول من يدخل الجنة فاطمة بنت محمد، مثلها في هذه الامة مثل مريم ابنة عمران في بني اسرائيل.[١٤]

كثير من الناس يكرهون الاناث، ويفضلون الرجال على النساء، حتى المرأة الحامل، تحب أن يكون مولودها الاول ذكراً، وهذا الامر لا ينسحب على السكان الآسيويين الذين عاشت مريم واسرتها وسلالتها في هذه القارة، وتحديداً في منطقة الشرق، وما زالت هذه النظرة

التمييزية بين الذكور والاناث موجودة، حتى في عالمنا المعاصر، إذ أن الصينيين الذين يعيشون اليوم في بلادهم قد قاموا بملايين عمليات الاجهاض للأجنة الاناث، بعد اكتشاف العلم لنوع الجنين؛ لانهم لا يريدون أن يكون الولد الاول لهم انثى، وذلك لان الحكومة الصينية قد حددت لكل زوجين طفلاً واحداً، وبهذا نفهم سبب حزن أم مريم بمجيء مريم، وهو ما كان العرب في جاهليتهم يفعلون ما هو أكثر منه من وأد البنات، خوفاً من العار، وما كانت تفعله الدولة الرومانية واليونانية ومعظم الدول الاوروبية حتى عهد قريب.

المحررة: نذرتها أمها أن تكون محررة، والانسان الحرّ، هو الخالص العبادة لله تعالى دون سواه، والاحرار هم الذين يصنعون الحضارة، ويحققون الانتصارات، ويعملون على انجاز الازدهارات في شتى مجالات الحياة، الفكرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والعقدية.... الخ.

أما العبيد فليسوا أكثر من أدوات تنفيذية، لا ابداعات لهم، ولا يسهمون في تقدم البشرية.

المقبولة من الله: كان أبواب السماء كانت مفتوحة إذْ أن الله سبحانه وتعالى قد تقبل مريم بقبول حسن، ورعاها كالنبات المخدوم بأصناف الرعاية الحسنة، حتى شبت بين يديه، (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً).

الله الكافل: لم يكن كافلها زكريا (كما يظن بعض الناس ويعتقد آخرون)، إذ أن النص القرآني صريح الدلالة: فالله يقول: (وكفلها زكريا) أي أن أمر الكفالة قد عُهد من الله لزكريا– دون أن يكون له في الكفالة إلا الشكل– لان الله هو الذي كان يطعم ويرزق، مما أثار دهشة زكريا.

الدليل: « كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ »[١٥]

قال المفسرون: ان زكريا كان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، ولفظ (كلما) يدل على الكثرة، أي أن زكريا كان يجد عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء[١٦] ، وكان هذا الأمر مستحيلاً في ذلك الزمن الذي لم تكن فيه ثلاجات تحفظ الطعام مدداً طويلة، وكان هذا الأمر مثار تعجب واستغراب كبيرين من المكفَّل زكريا، وهو الوحيد الذي يدخل عليها المحراب، مع ما هناك من اسباب الحفظ التي تمنع أي انسان من الوصول إلى مريم، وهذا يدل على أن الله عز وجل قد كفل لمريم أسباب الرزق الهنيء والطيب، دون وساطة بشرية، وهي اشارات واضحة على أن هذه الفتاة الصغيرة ،كانت على صلة بالله كبيرة، وانها كانت على صلة بالله دون حواجز، وأن عقلها وقلبها كانا مسكونين بجلال الله وخشيته، وهي اشارات (لزكريا) ولمريم بأن لها شأناً كبيراً، عندما تصبح كاملة الانوثة.

ومعروف أن الثمر الذي أكلت منه مريم لم يكن من ثمار الأرض، وانما هو من ثمار الجنة، وبهذا تكون الانسان الوحيد الذي أكل من ثمار الجنة، بينما هو ساكن في الارض، وهذا الرأي مما حدّث به الصحابي الجليل ابن عباس –رضي الله عنهما– .[١٧]

ان زكريا كان مكفّلاً، أي أنه كان آلة الكفالة وليس فاعلها، ولهذا وجدناه يتوجه إلى الله أن يرزقه الولد– رغم شيبه– ورغم عقم زوجته، وكأنه وجد في المكان الطاهر الذي كانت

فيه مريم، المكان المناسب للدعاء، والزمان المناسب أيضاً، وبتذكير المباركة مريم له، وقد استجاب الله دعاءه، فجاءه الولد وهو في عمر يناهز المئة عام، وكانت امرأته عاقراً ، وهي اشارة لمريم بأن المعجز على الانسان هيّن عند الله.

أنى لكِ هذا:

سؤال مشروع ينبغي أن نسأله لكل انسان في موقع المسؤولية من أين لك هذا؟؛ لان معرفة مصادر المال ينبغي ألا تكون خفية، وبخاصة في الأزمنة التي كثر فيها الفساد، ولعل عمر بن الخطاب كان على حق عندما كان يحاسب عماله قائلاً: أنى لكم هذا؟ فمريم الطاهرة البتول القانتة المباركة سألها النبي زكريا: من أين لك هذا؟ رغم صغر سنها؛ لان من حقه أن يعرف، وأن تكون المعرفة يقينية، وهذا مبدأ أساس في قيام منظومة اجتماعية نظيفة قائمة على محاسبة أي انسان مهما كان موقعه؛ فليس هناك انسان- كائن من كان- خارج حدود المسؤولية، فهذه مريم المباركة (أم النبي عيسى عليه السلام) يسألها النبي زكريا من أين لك هذا؟ ولا يتوقف هذا السؤال عند الزمن الماضي، بل ينسحب على الحاضر والمستقبل، وهذا المبدأ ينبغي أن يطبق بكل معانيه على الكبار قبل الصغار، حتى تستقيم الحياة على وجه الارض، ولا يكون هناك انسان فوق المساءلة أو فوق القانون، وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المؤسسات والدول أيضاً

النبوة:

استدل بعض المفسرين على نبوّة مريم لأنها ذُكرت مع الأنبياء في سورتهم (سورة الانبياء) وكان بضمن الذين أبدوا هذا الرأي الامام (القرطبي) والامام الشيخ (تقي الدين السبكي)[١٨]

المصطفاة:

ذكر القرآن الكريم اصطفاء مريم مرتين في آية واحدة. قال تعالى:

«وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ»[١٩]

كانت الملائكة تحمل رسالة من الله إلى مريم لتبلغها أن الله قد (اصطفاها وطهرها) هذا أولاً، ثم لتبلغها بأن الله سبحانه وتعالى قد اصطفاها على نساء العالمين، فالاصطفاء الأول ذكر بدون (على)، فالاصطفاء الأول كان قبولك من امك وتربيتك واختصاصك بالكرامة العالية وتطهيرك من سيء الأعمال، وأما الاصفاء الثاني فالتفضيل على نساء العالمين؛ باختيارك أماً لعيسى (عليه السلام) الذي سيولد من غير أب؛ بكلمة من الله، وهو ما لم، ولن يحدث لواحدة من النساء.[٢٠]

اصطفاء لمهمة:

الاصطفاء الثاني (على نساء العالمين) يحمل معنى (التكليف والتشريف معاً) مع ما في التكليف من صعوبات ومشقات وآلام، وما يصاحب ذلك من شرف الاختيار من الله- إذ أن هذه المهمة التي ستوكل إلى مريم، ستكون تشريفاً عظيماً لها بين نساء الارض، لان ذكرها سيخلد مع كل قارئ لكتاب الله منذ نزوله، وحتى يرث الله الارض ومن عليها.

والملحظ الثاني في قول القرآن الكريم « عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ » أي ان الرجال لا يدخلون في الأمر ؛ لان هناك أنبياء كثيرين قد خصهم الله بالاصطفاء، وقاموا بنشر دينه في العالمين، ونالوا الرضا.

ويمكننا أن نفهم معنى الاصطفاء من خلال الآيات الكريمة الواردة في حق بعض الانبياء: فآدم –عليه السلام– خلقه الله بيديه، وأسجد له الملائكة ، ونفخ فيه من روحه، وهذا غاية التكريم. ونوح استخلصه الله من بين البشر جميعاً ليكون بداية لبشرية جديدة؛ فأنقذه بالسفينة ومن معه. وإبراهيم، اتخذه الله خليلاً، بعد أن أنقذه من النار، وبعد أن صبر وامتحن في زوجته وولده أسماعيل، فكان نعم العبد الاواب. وآل عمران الذين خرجت مريم من اصلابهم، وكذلك ابنها عيسى، كانت الاستثناء في الاصطفاء؛ لانها المرأة الوحيدة المصطفاة والمذكورة بالتعيين والاسم في القرآن الكريم.

الصِّدِّيقة:

الصدّيق صفة ملازمة للأنبياء والرسل؛ لانهم يبلغون رسالات ربهم بكل أمانة، وعندما توصف مريم بالصديقة؛ فانما تعامل معاملة الانبياء، وهو ما دعى بعض المفسرين إلى ادخالها في قائمة الانبياء؛ لانها المرة الأولى التي يستخدم فيها القرآن هذه الصفة، ويطلقها على امرأة. قال تعالى: «ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ».[٢١]

امرأة فقيرة:

تشير الآية السابقة إلى أن مريم كانت امرأة عاديه، تأكل الطعام وترتاد الأسواق، أي أنها كانت تقوم بما تقوم به النساء من أعمال الارعاء على نفسها وشؤون حياتها وابنها، وهذه هي حال جميع الانبياء الذين خرجوا من بين ظهراني اقوامهم، وكانوا معروفين قبل نبوتهم بالصدق والامانة والاخلاص، وعندما جهروا بالحق وطالبوا الناس باتباع دين الله الحق؛ كذبهم الناس، وهو ما سيحدث لمريم مع قومها في شأن عيسى عليهما السلام.

المؤمنة:

لا شك أن التربية الايمانية التي تربت عليها مريم قد جعلتها راسخة الايمان بالله، كأن الله سبحانه قد استحوذ عليها وملأ قلبها وكل جوارحها، ولهذا وجدنا جوابها لزكريا حين سألها عن الطعام من أين يأتيها، جاء جوابها سريعاً صادقاً (هو من عند الله) وهذه التربية الايمانية ستكون هاديها مستقبلاً لخطة الابتلاء. وأما تعقيبها على سؤال رسول الله زكريا بعد جوابها فيدل دلالة واضحة على ايمانها المطلق الذي لا يتزعزع، وهو قولها(إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وكان هذا الجواب من تلك الطفلة، ايحاءً لزكريا بأن يدعو الله لحظتها. ويبدو أن مريم كانت ومنذ حداثة سنها، طفلة عاقلة رشيدة بادية الفضيلة، وهو ما دفع الرجال الفضلاء الى التنافس (أيهم يكفلها) لما رأوه من كراماتها، التي كانت تنزل عليها من لدن رب العزة خالقها –سبحانه وتعالى– ولهذا تدخلت ارادة الله وكفّلتها (زكريا) زوج خالتها؛ لما في قلبه من الرحمة على تلك الطفلة اليتيمة التي يريد برعايتها دخول الجنة، ولانه يريد أن يُسقط عليها محبته ورعايته ؛كونه محروماً من الذرية في ذلك الوقت ؛ مع بلوغه سن الشيخوخة ووجود زوجته العاقر.

المطهرة:

مريم مطهرة من الأقذار الحسية والمعنوية والقلبية والقالبية، وطهّرها الله بالايمان عن الشرك والكفر، وبالطاعة عن المعصية، ونزهها بالاخلاق الحميدة، وبرأها من الأخلاق الذميمة، وزينها بالطباع الحسنة وأبعد عنها السيئة، فكانت على أكمل وجه وأعدل النساء، كونها تربت على عين الله سبحانه. [٢٢]

الآية:

لم تحضر مريم برغبة من أمها، أو على ما كانت تتمنى، بل جاءت وفق ترتيب الله سبحانه وتعالى، لتؤدي مهمة غير مسبوقة أو معروفة؛ وهي الولادة بدون (جماع) من رجل ؛ كما هي سُنّة الكون المعروفة، ولهذا كانت ولادتها معجزة في اتجاهين: اتجاه العذراء الحامل، واتجاه المولود الذي يتحدث في المهد، وبهذا يكونان آية من آيات الله (المعجزة على المخلوق)، والمقدور عليها (من الخالق).

محطات من حياة مريم

الإحصان: يبدو من السياق القرآني أن مريم قد أحصنت فرجها، أي برغبتها وإرادتها الكاملة، فقررت ألا تتزوج أو أن يمسها رجل، لانها نذرت نفسها للعبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى، تحقيقاً لرغبة امها، ولانها تريد ذلك من نفسها، وربما جاءت فكرة (الرهبنة) من هذه الحكاية، إذ أن مريم لم تتزوج- كما أن ابنها عيسى المسيح -فيما بعد- لم يتزوج.

وهذه الارادة تتلاقى مع ارادة الله ان يحصّن فرجها، وأن تكون ولادتها أمراً خارجاً عن السنن الكونية والطبيعية التي يعرفها البشر وسائر الأجناس الحية التي تتكاثر بلقاء الزوجين، في خرق للعادة لا يتكرر.

البشارة: شبت مريم على الطوق، واكتملت روحاً وجسداً، وأصبحت جاهزة للمهمة الثقيلة التي لم تكن تعرف عنها شيئاً، ولكن الله -سبحانه- كان قد هيأها في علمه اللدني لتلك المهمة، لهذا فوجئت مريم وجود رجل كامل الخلقة، يدخل عليها غرفتها في المحراب، ثم يخاطبها بلغتها، دون سابق معرفة إذ لم تكن مريم قد شاهدته من قبل، ولا علم لها بمقدمه.

كانت ردّة فعلها طبيعية، وبخاصة مع العذراء الحيّة، التي تربت في حضن الفضيلة والفضلاء.

قبل الحمل:

لم تكن مريم راغبة في هذا الحمل، الذي ترتب عليه تبعات جمه قد لا تقوى على احتمالها، ولما أخبرها (الملاك جبريل) بالخبر، كادت تسقط مغشياً عليها، وتكاد تسمع صوتها المحتج وهي تقول له: «**أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر**» فهي تتحدث بما هو معروف من سنن الحياة، بينما تحدث الملاك بمنظور آخر خارج عن معقولات البشر، انه الأمر الالهي الذي أذا اراد لشيء ان يكون. قال له كن فيكون.

وكان لا بد للملاك جبريل أن يخبر مريم بالخبر، وأن لا تحمل دون معرفة مسبقة منها، أو في نومها؛ حتى تستعد للمواجهة المقبلة مع الناس، الذين لن يصدقوها، وبخاصة أبناء قومها اليهود، الذين غلبت عليهم الماديات وضعفت عندهم الروحانيات، وابتعدوا عن طريق الهداية التي جاء بها موسى وأنبياء بني اسرائيل من بعده، حتى مجيء عيسى عليه السلام.

ولو كان الأمر الذي صدر إلى مريم (أمر تكليف) لما رضيت أن تحمل، ولكن الأمر الذي صدر اليها كان (أمر كينونة) والفرق بين التكليف والكينونة شاسع وبعيد؛ فأمر التكليف يكون الانسان حراً بفعله أو عدم فعله، فالناس مكلّفون بالعبادات جميعها من صلاة وصوم وزكاة وغيرها، ولكنَّ قِسماً كبيراً منهم لا يقوم بهذه العبادات، ولو كان الأمر أمر كينونة، لما استطاع أحد أن يخالف، لان أمر الكينونة هو أمر الهي إذا قال للشيء (كن) فيكون، مما يدل على أن مريم لم تكن مخيّرة في هذا الأمر، ولعل مجيء عيسى (ذكراً) هو تتمة لرغبة (أمها زوجة عمران) التي ارادت أن يكون منذورها ذكراً محرراً، فلم يكن لها، وانما لوليدتها مريم عليهم السلام جميعاً.

النفخ:

كانت مهمة الملاك جبريل عليه السلام محددة؛ وهي أن ينقل أمر الله إلى مريم، وأن يحدث الحمل لها بوساطة النفخ. قال تعالى: **«والتي أحصنت فرجها، فنفخنا فيه من روحنا»**

وفي موضع آخر يقول القرآن: « **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**»[٢٣] ، فمرة يقول القرآن نفخنا فيها، ومرة نفخنا فيه والمعنى واحد، أذْ أن جبريل هو فاعل النفخ، واذا قال القرآن فيها كان للكل، واذا قال فيه كان للجزء ونحن لا نعرف كيف حدث النفخ؛ لان الله سبحانه وتعالى يقول، وفي موضع آخر من القرآن الكريم: « **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** »[٢٤] وبهذا يكون النفخ والكلمة بمعنى واحد، أي بفعل الأمر (كن).

وكلمة (ألقاها) توحي بأن النفخ جاء من الأعلى. وهناك تماثل بين آدم وعيسى في أصل الخلق « **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** »[٢٥]

مدة الحمل:

هناك خلاف بين العلماء على المدة التي قضتها مريم في الحمل، فمن قائل أنها ثمانية أشهر ، ومن قائل آخر غير ذلك، إلا أن الراجح أنها حملت تسعة أشهر مثلها في ذلك مثل باقي النساء وهذا هو رأي الجمهور.[٢٦]

الخوف:

كأي امرأة عفيفة، خافت مريم مما حصل معها وبخاصة بعد ظهور بدايات الحمل عليها من تغير في جسمها، وانتفاخ في بطنها، مما سيعرضها للأسئلة والاتهامات قبل حصول الولادة.

وكانت مريم تعزّي نفسها بما قاله لها الملاك جبريل عندما بشّرها بالغلام، أي أنها كانت تعرف مسبقاً نوع المولود القادم، على العكس من أمها، التي أرادته غلاماً فجاءت أنثى، كما كانت مريم تعرف من صفات هذا الغلام أنه سيكون آية للناس ورحمة « **قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** » [٢٧]

وكانت هذه الطمأنينة ضرورية من الملاك جبريل للعذراء البتول (مريم) عليها السلام، إذْ أن تربيتها الايمانية، ونسبها إلى آل عمران، وما تسلسل بعده، لا يسمح لها بأي خطأ مهما صغر، ولكنها صدعت لأمر الله، وارتضت على أن تقوم بها على رضاً ومحبة وطاعة لأوامره، مهما كلفها من عنت وإرهاق لكن النفس الانسانية تظل في تردد وخوف حتى المواجهة المحتملة.

النزوح:

بسبب خوفها اضطرت مريم إلى الخروج من بلدها ومسقط رأسها ومقر سكنها إلى مكان آخر آمن لا يعرفها فيه أحد، تخلصاً مما ستواجهه من بني قومها حتى تستعد للمواجهة- ولكن بعد الولادة- إذْ أنها كانت تجهل المعلومات عن المولود، وحتى لو كانت تعلمها، فإن الأمر سيحتاج إلى زمن، حتى تثبت براءتها، وطالما أنها غير قادرة على الدفاع عن نفسها في ظل وجود الحمل، فان الخير كل الخير، في مغادرة المكان ، لهذا؛ حملت جنينها وارتحلت، « **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا** ».[٢٨]

المكان:

لا يحدثنا القرآن عن المكان الذي التجأت اليه مريم خلال فترة الحمل، ويكتفي بالاشارة الى الاتجاه -مكاناً شرقياً- ولكن التاريخ يحدثنا عن ان المكان كان عند ربوة وان هذه الربوة هي مدينة بيت لحم -من ضواحي القدس- التي جاءتها من -الناصرة- حيث مكان ولادتها هي، والقرآن حدثنا عن مغادرتها بصيغة الافراد، « **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ** » أذا ان النص القرآني يتحدث عن العمل وهي التي تحمل لا غيرها. وتشير الى انها **أنتبذت به** وهذا معطوف على ما سبقه والمقصود جنينها عيسى – عليه السلام -. على الرغم من وجود نصوص تاريخية تتحدث عن وجود اشخاص مع السيدة العذراء مريم ليحرسوها إلا أن القران الكريم يوحي بعكس ذلك.
ولا يشير القرآن من قريب ولا من بعيد الى ما تردده الرواية المسيحية من ان الامبراطور الروماني (هيرودوس) كان يلاحق الاطفال الذين يولدون لبني اسرائيل ويقوم بقتلهم؛ لان العرافين والمخمنين قالوا له بأن طفلاً من بني اسرائيل سيولد، ويكون سبباً في تقويض العرش الروماني، او لاسباب اخرى، اذ أن هذه الرواية تشبه الى حد كبير الرواية التي تذكر النبي موسى عليه السلام وفرعون، وليس لدينا من التراث الاسلامي ما يسندها او ينفيها.

الولادة:

مثل باقي نساء العالمين، تعاني مريم الأم المخاض لحظة الولادة، فتتمنى لو أنها لم تكن شيئاً مذكوراً ، وقد عبر القرآن عن هذا المعنى، عندما نقل على لسانها: « **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** »[٢٩] قالت مريم هذا رغم

تطمينات جبريل السابقة لها، ولكنها النفس الانسانية المجبولة على الخوف من المجهول بما يحمله من آلام ومتاعب، وبخاصة ما تعلق منها بموضوع الشرف والعرض، وهو أقصى ما تدافع عنه المرأة الشريفة، فكيف الحال مع امرأة تمثل نموذج الشرف الانساني الارفع في تاريخ النساء، لم يكن الأمر هيناً، ولكن الفرج يأتي مع أشد ساعات المحنة، حيث ينبلج الفجر في أشد ساعات الظلام اقتراباً من طلوع الشمس.

المنقذ:

ما ان وضعت مريم وليدها، حتى بشرها بقوله: «**لا تحزني**» فكانت أروع مفاجأة سارة في حياة مريم، اذ أن هذا الوليد قد تكلم في المهد، وطلب منها أن لا تحزن فكفكفت العذراء من دموعها، وهدأت نفسها وقرّت عينها، فان هذا الطفل سوف يكون شاهدها ومحاميها، الذي يدافع عنها، وعن شرفها وسمعتها بما لا يجعل لكلام القوالين مجالاً.

ولعل لفظ (المخلِّص) الذي يطلقه المسيحيون على سيدنا عيسى –عليه السلام– (ينطبق) على قصته وأمه، فهو الذي سيخلصها من تهمها التي سيرميها بها بعض القوم، من يهود ذلك العصر، ولكننا في الاسلام لا نرى ان عيسى عليه السلام سيحمل ذنوب العالم من الناس الذين سيتبعون شريعته؛ لان القرآن عندنا يقول: « **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** »[٣٠] إذْ لا يمكن لبشر، كائنا من كان، أن يتحمل ذنوب البشرية من قتل وقهر وظلم وفساد، بحجة أنه المخلِّص، فهذا يتنافى مع عدل الله الذي سيكون يوم الحساب.

تعليمات الطفل:

وامعاناً في تطمين الأم (مريم) على نفسها. أخذ الطفل يطلب اليها أن تقوم بأعمال تعود عليها بالنفع، فقال: «**فَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا . فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**»[٣١] فالطفل عيسى المولود للتو واللحظة، حريص على صحة أمه، ولهذا يطلب منها أن تقوم بأعمال ليست بمقدورها أن تقوم بها على الوجه الأكمل؛ إذ أن المرأة في لحظة الولادة تكون في اقصى حالات ضعفها، ولا تقوى على الأعمال القاسية، فكيف اذا كان هذا الأمر (هزّ النخلة) التي لا يستطيع الرجال الاشداء هزّها لتساقط الرّطب، ولكن مريم فعلت ما أمرها وليدها، فهزّت النخلة بيدها الضعيفة، فاهتزّت وتساقت الرطب عليها، فأكلت وشربت وقرّت عينها، لان الهزّ الحقيقي لم يكن منها، بل من الله سبحانه وتعالى، وهذا مؤشر ثانٍ يدخل السرور والسعادة إلى قلب الأم الخائفة، كما أن صحة الطفل مرتبطة بصحة الأم، ولهذا فانها عندما تهزّ النخلة وتأكل من الرطب سيكون ذلك غذاءً للأم أولاً، وللوليد ثانياً. وأما الطلب الاحتياطي فكان الامتناع عن الكلام، مع أي انسان؛ لان مريم لن تقوى على مجادلة القوم اذا سألوها، وسيتولى الدفاع عنها ابنها وهذا ما جرى بعد ذلك.

العودة:

عندما اطمأنت مريم إلى وجود (المحامي الطفل) معها، قررت أن تعود إلى ديارها ومساكنها في الجليل، حيث وُلدت في مدينة الناصرة، فعادت مزهوة تحمل رضيعها بين يديها، مستندة إلى دعم مادي ومعنوي غير مسبوق، وغير معهود.

وما ان رآها قومها تحمل بين يديها طفلها حتى بادروها بالاتهام، وهو ما كانت تتوقعه، فقالوا لها: « **قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** »[٣٢] والملاحظ أن الحديث جاء من جماعة، لا من فرد، (قالوا يا مريم) مما يدلّ على عقلية تشكيكية جاءت بها تلك الجماعات، والتي كفرت بما جاء به الانبياء، وتجاوزت ذلك إلى القتل، ولكن مريم كانت مطمئنة إلى الدفاع الذي تحمله بين يديها، إلى ابنها الرضيع عيسى، الذي أشار عليها بألا تتحدث، ولهذا لم ترد عليهم، بل اكتفت بالاشارة إلى الطفل وهو ما زاد في حقدهم وغضبهم؛ لانهم ظنوا أن مريم تسخر منهم؛ وتهزأ بمقولاتهم، إذْ كان ردّهم- مستغرباً: « **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** »[٣٣]. لانهم لم يكونوا يتوقعون أن يتكلم الطفل، وهناك كانت المفاجأة المذهلة.

ويتبين من هذا النص، أن اليهود لا يريدون تصديق المعجزة التي أمامهم في شكل الطفل الذي يتكلم؛ لان عنادهم نوع من انكار الحق، ولا يمكن للكافرين بالمعجزة أن يكونوا في حومة المؤمنين، ولهذا كان اتهامهم لمريم بالفحشاء والزنا نوعاً من اسقاط ما في النفس على الآخرين، وبخاصة ان كانوا من المستضعفين الذين تنتمي اليهم مريم وابنها عليهما السلام.

دفاع عن مريم:

نظر الطفل إلى الجماعة اليهودية الواقفة أمام (أمه مريم) يكيلون لها الاتهامات، فقال بلسان مبين: «**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**»[٣٤]

والاتهام الذي ورد بصيغة الجماعة من اليهود هو نوع من الدفاع عن الذات، إذ أنهم جميعاً كانوا يرتكبون الموبقات ويأمرون بالربا ويمارسون الفواحش، وبما أنهم علية القوم من الرؤساء والأحبار الذين يقومون بأنواع الفساد وياكلون أموال الناس بالباطل، ويمارسون المحسوبيات بكل أنواعها، مستغلين وجاهتهم في الدنيا، فانهم يقومون بمحاكمة الصغار وينزلون بهم أشد العقوبات، حتى يخفوا جرائمهم ويخيفوا الناس العاديين فيها بوهم ولا يناقشوهم في مناصبهم وأموالهم.

فقد فاجأ الطفل بكلامه كل الواقفين، وقرر أشياء مستقبلية أعلمه ربّه بها، في عالم الغيب.

إذ أقر المسيح الوليد أموراً ستحدث مستقبلاً ومنها:

أ- **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ** .أي أنه مخلوق مثل المخلوقات الآدمية الأخرى للعبادة وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، ولكنه مكلف بتبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى؛ ألا وهي رسالة الانجيل (المشار اليه هنا بالكتاب) إذ يبدوا أن الانجيل قد أنزل على عيسى دفعة واحدة عند الولادة، فكان الانجيل معه، وهي مسألة تستحق الوقوف عندها أيضاً، ولعل هذا ما جعل بعض أتباع المسيح يكتبون أفعاله وأقواله ويعدّون ما كتبوه انجيلاً، على تعدد الكتبة وتعدد الاناجيل. فكلمة (اتاني) تنسحب على الماضي وكأن التوراة والزبور والانجيل قد تنزلت على عيسى ولكن غير منجمة حسب الحوادث وهي قضية ثانية جعلت كثيراً من أنصار عيسى -عليه السلام- بعد قرون يقولون بأنه كان في كلامه وأفعاله وحركاته وحياً موجوداً فيه، مما

يجعلهم ينسبون الانجيل إلى ما فعله عيسى وما قاله، ولكن تعدد هذه الاناجيل يجعل تفضيل بعضها على بعض، والغاء قسم منها، واختيار أربعة منها فقط ،عملاً بشرياً محضاً لا علاقة له بالوحي أو سواه ، وانما هي سيرة ذاتية في أحسن الأحوال لرجل مبارك من أُم مباركة.

ب- نبوة عيسى: عيسى مثل بقية أنبياء الله عزوجل آتاه الانجيل كما آتى موسى التوراة كي يكمل رسالة من سبقوه من الأنبياء والرسل الكرام.

ت- رجل مبارك، أينما انتقل حلت بركته الممنوحة من الله له؛ إذ كان بهذه البركة الالهية يشفي المرضى؛ فيبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ولكن باذن الله، فالبركة ممنوحة من الخالق، وهذا ما جعل بعض أتباعه (بعد ذلك) يتخذونه الهاً؛ لان احياء الموتى لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وقد فصل القرآن في هذه القضية بأن جعل كل هذه الأمور تجري باذن الله.

ث- اداء العبادات: وبخاصة الصلاة والزكاة ، حيث أن عيسى كان يصلي لربه، شكراً له اصطفاء امه واختياره نبياً، وللكرامات التي أجراها الله -سبحانه وتعالى- على يديه، وهذه دلالة على ان المسيح بشر مثل سائر أبناء آدم؛ يأكل، ويشرب، ويعرق، ويقوم بكل العمليات الحيوية الاخرى، ويؤدي العبادات المطلوبة، والعبادات هي التي يتقرب الانسان بها إلى ربه.

ج-انه سيموت: كما وُلد فانه سيموت، لان له عمراً محدوداً ، ورسالة يؤديها في هذه الحياة، فاذا بلَّغ رسالته وأدى أمانته، انقضى عمره المحدود؛ الذي كتبه الله له، وقد حدث ذلك عندما كان كهلاً في الثالثة والثلاثين من عمره، حيث أماته الله ورفعه.

ح- الابن البار بوالدته: مثله كل الانبياء ، لا يعرف إلا البر بالناس، وبخاصة بالابوين، ولكن عيسى عليه السلام قد خصص اتجاه البر فأشار به نحو والدته؛ لانه لا أب له، وهو تأكيد قرآني على أن الانسان الوحيد الذي ينسب لامه هو (عيسى بن مريم) فهي الوحيدة التي نُسب اليها ولدها، وهو الذي نسب لامه؛ لان الاصل أن ينسب الانسان إلى ابيه، فالقرآن يؤكد بهذه الآية أن (مريم) قد انتسبت فهي (ابنة عمران) ونُسب اليها (المسيح) فهو (عيسى بن مريم) وهذه ميزة لم تكن لغيرها من نساء العالمين.

كيف واجهت مريم:

كل نبي من أنبياء الله ، وكل رسول من رسله، واجه صعوبات وتحديات ومعارضات من مجتمعه، لان الناس بطباعهم يميلون إلى مصالحهم، ولا يحبون الالتفات عنها إلى المبادئ، مع أن المبادئ هي التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة؛ لان الناس يحبون العاجلة، كونهم يرونها ويعيشون فيها، ويكرهون الآجلة وهي (يوم القيامة)، ولهذا يقدمون الدنيا العاجلة، على الآخرة الآجلة، شأن الطلبة في مدارسهم وجامعاتهم، لا يحبون الدراسة اليومية -غالباً- ويكرهون الامتحانات، مع انها تقيس مدى فهمهم للمادة، ولا يستعدون للامتحان النهائي ،إلا مع نهاية العام، تماماً مثل الناس الذين يعودون إلى الصلاة والصيام والعبادة عند كبر سنهم؛ وكأنهم قد ضمنوا لانفسهم طول العمر.

أما الذين يهتدون، فانهم الذين يؤمنون برسالات الانبياء، ويتبعون نهجهم وشريعتهم، وبهذا الايمان فانهم ينتصرون على ما في أنفسهم من الصغائر.

وهذا ما فعلته مريم العذراء –رضي الله عنها– إذ أنها تقوت على الضعف الانساني الموجود فيها، بما أمرها الله « **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** »[٣٥]

ومعروف أن الانسان إذا قام إلى الصلاة، فانه يقف ثم يركع ثم يسجد بالترتيب، ولكن القرآن الكريم جاء بشكل معكوس؛ اذْ أمرها الله بأن تقنت ثم ذكر السجود فالركوع، وهو أمر جوهري؛ لان الانسان المؤمن حقاً يستحضر كل امكاناته في الخشوع، حتى يقف بين يدي ربه، ولهذا يكون قد استحضر اقصى درجات العبادة وهي الخشوع والقنوت عند القيام للصلاة، وبهذا يكون الانسان المؤمن في قمة الامور عند ابتداء العبادة، وأما السجود فانه يلي الركوع، ولكن الانسان يكون أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد، ولهذا قدم القرآن السجود على الركوع مع ان الركوع سابق للسجود، وقد جاء الأمر إلى مريم بأن تقنت إلى ربها **(يا مريم اقنتي لربك)** لان الرب هو المسؤول عن التربية والله سبحانه وتعالى هو الذي رباها وأحسن تربيتها وكفلها إلى زكريا، وبهذا تمكنت مريم من الانتصار على كل الصعوبات التي واجهتها –رغم ضخامتها– لان الايمان كان يستوطن قلبها الطاهر.

وقد طلبت الآية الكريمة من مريم ان تركع مع الراكعين، ولم يقل القرآن (مع الراكعات) لان الركوع يكون للرجال وللنساء معاً، فلو قال (مع الراكعات) لكان استثناء خاصاً بالنساء، وهو لا يكون ؛ لان الراكعين شاملة للنساء والرجال معاً فهو عام شامل لا مخصص.

وبعد، فان قصة مريم لا تكتمل إلا إذا قوبلت مع القصة الموازية لها تماماً، والمعاصرة لها في الزمان والمكان، وهي قصة زكريا وزوجته (اليصابات) وابنهما يحيى.

فالمكفَّل (زكريا) كان شيخاً طاعناً في السن، وكانت كفالته لمريم نوعاً من اسقاط محبته للأطفال على هذه الفتاة الطاهرة الجميلة (ابنة اخت زوجته)، التي شاء الله أن يموت والدها قبل ان ترى النور.

وكانت زوجة زكريا (عاقراً) فلما رأى الفاكهة عند مريم (فاكهة الصيف في موسم الشتاء وفاكهة الشتاء في موسم الصيف) تعجب وسأل الفتاة عن مصدر الرزق هذا. فاجابته (أنه من عند الله)، فان الله يرزق من يشاء بغير حساب.

في هذه اللحظة تمنى زكريا الولد، فدعا ربه أن يرزقه ولداً؛ مع أن عمره كان فوق المئة عام ، ومع علمه بحال زوجته العاقر.

الاستجابة:

استجاب الله دعاء زكريا، اذ كانت أبواب السماء مفتوحة « **فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** »[٣٦]

وما حصل لمريم حصل لزكريا، وكان سؤاله عين سؤالها « قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا »[٣٧]

في المكان نفسه:

كانت الاستجابة لدعاء زكريا في المحراب الذي كانت فيه مريم، وكان تعجبه من تقبل الدعاء مثل تعجب مريم **(أنى يكون لي غلام)** اذْ أن مريم أفادت بانه لم يمسسها رجل، وانها لم تك بغياً، بالاضافة إلى احصانها لفرجها.

وأما زكريا فقد احتج بكبر سنه وعقم زوجته وكانت الاجابة واحدة: **« قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا »**[٣٨]

أما الآية فهي الآية نفسها التي قالها عيسى لامه مريم وهي الصيام عن الكلام اذ قال زكريا: **« قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا »**.[٣٩]

اذاً فقد شاهدت مريم في مكانها استجابة دعاء زوج خالتها زكريا، مع علمها باستحالة حدوث ولادة (يحيى) من خالتها (العاقر) وزوجها (الطاعن في السن)، وكان هذا من باب (التسلية لها)، (والاعداد لها) حتى تتقبل ولادة عيسى –عليه السلام–.

يحيى مثل عيسى:

فعيسى بار بوالدته، ويحيى بار بوالديه، فيقول القرآن **« وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا »**[٤٠]، ويقول عيسى: **« وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا »**[٤١]
السلام لهما:

فعيسى يقول **« وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا »**[٤٢]، ويحيى يقول الله فيه: **« وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا »**[٤٣]

يحيى قتل شهيداً، والشهيد حيّ عند الله، وعيسى شهد مؤامرة لقتله، ولكن الله أنقذه منها، وأماته الله ورفعه.

ويحيى كان نبياً لبني اسرائيل، وعيسى كان كذلك.

الله سمى عيسى ابن مريم، وسمى كذلك يحيى.

زكريا أراد الولد فاستجاب الله له، وأم مريم أرادت الولد فاستجاب الله دعاءها في ابنتها وأعطاها خيراً مما طلبت.

يحيى مولود قبل عيسى بستة أشهر لتكون المعجزة الاولى قبل الثانية، اذ أن ولادة العاقر من الشيخ المسن مستحيلة انسانياً لتكون بعدها معجزة الميلاد دون أب.

هذه هي مريم ابنة عمران، حكاية لا تنتهي، وقصة لا تتكرر، أعطاها القرآن حقها، انصافاً لها من ألسنة السوء، ورداً على تقولات الجاهلين، الذين يقولون مالا يعرفون، وحاكموها بالظن السيء، فجاء القرآن، كلام الله يبرئها

x x x

المراجع المستخدمة:

١- محمود شلبي/ حياة مريم ط٣ ١٩٨٩ دار الجيل- بيروت ص: ٣٨١.
٢- عبد الرحمن مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، ص: ٦٨.
٣- ذكره الاربيلي في كشف الغمة ج٢ ص:٩٣.
٤- منى محمد هنداوي، قصص المرأة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، مكتبة وهبة، القاهرة ص:٧٧.
٥- د. سعيد طنطاوي- القصص في القرآن الكريم- القاهرة ص: ٢٢٦.
٦- تفسير الشعراوي م٣ منشورات أخبار اليوم القاهرة- ص١٤٣٠.
٧- المصدر السابق ص: ٥٤.
٨- المصر نفسه ص: ٦٠.
٩- أخرجه البخاري برقم ٣٤٣١، ومسلم برقم ٢٣٦٦.
١٠- مسند الامام أحمد ج١ ص ٢٩٣.
١١- البخاري برقم ٣٨١٥.
١٢- أخرجه الترمذي برقم ٣٨٧٨.
١٣- أخرجه النسائي برقم٨٣٥٣.
١٤- القندوري الحنفي، ربيع المودة، ص: ٢٦١.
١٥- سورة آل عمران الآية ٣٧.
١٦- ابراهيم محمد الجمل، قصص النساء من الكتاب والسنة -ط١- مكتبة مدبولي الصغير القاهرة ١٩٩٦ص: ٢٨.
١٧- انظر محمود شلبي ص٦١ وهو قول الامام الحسن -رضي الله عنه أيضاً ص: ٦٢.
١٨- محمود شلبي - مصدر سابق ص:١٢٥.
١٩- آل عمران الآية ٤٢.
٢٠- الكشاف للزمخشري ج١ ص:١٨٩.
٢١- سورة المائدة الآية ٧٥.
٢٢- محمود شلبي م س، ص: ١٢٥.
٢٣- سورة التحريم آية ١٢.
٢٤- سورة النساء الاية١٧١.
٢٥- سورة آل عمران الآية ٥٩.
٢٦- تفسير ابن كثير الجزء ٥ ص ٢٢٢.
٢٧- سورة مريم آية ٢١.
٢٨- سورة مريم الآية ٢٢.
٢٩- سورة مريم الآية ٢٣.
٣٠- سورة فاطر آية ١٨.
٣١- سورة مريم الآية ٢٥و ٢٦.
٣٢- سورة مريم الآية ٢٧و ٢٨.
٣٣- سورة مريم الآية ٢٩.
٣٤- سورة مريم الآية٣٠- ٣٣.
٣٥- سورة آل عمران الآية ٤٣.
٣٦- سورة آل عمران الآية ٣٩.
٣٧- سورة مريم الآية ٨.
٣٨- سورة مرية الآية ٩.
٣٩- سورة مريم الآية ١٠.
٤٠- سورة مريم الآية ١٤.
٤١- سورة مريم الآية ٣٢.
٤٢- سورة مريم الآية ٣٣.
٤٣- سورة مريم الآية ١٥.

مريم العذراء في التراث المسيحي

الأب د. رفيق خوري*

مقدمة

قبل كل شيء، اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر إلى مؤسسة باسيا (الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ووحدة الدراسات الدينية فيها)، التي تتيح لنا مثل هذه المساحات الحوارية، كي نتبادل الآراء، ونتعرف بموضوعية على ما تؤمن به الفئات الدينية المختلفة (هنا، الاسلام والمسيحية)، في جو من الإصغاء والاحترام المتبادل.

والموضوع الذي يجمعنا اليوم هو وجه إنساني وروحي وديني، سامي المقام وقريب من القلب، وهو مريم العذراء في الاسلام والمسيحية. بعد جولة القس نعيم عتيق في رحاب الإنجيل ليطلعنا على ما يرويه العهد الجديد بشكل عام، والأناجيل بشكل خصوصي، عن مريم العذراء، طُلب مني أن أتابع الموضوع وأقدّم هذه الورقة حول «مريم العذراء في التراث المسيحي» عبر الأجيال. فالنصوص الإنجيلية – كما هو حال جميع النصوص الدينية – لا تبقى في متحف، معزولة مصبَّرة، إنما تعيش هذه النصوص في جماعة، هي هنا الجماعة المسيحية عبر التاريخ. وهذه الجماعة تقرأ النصوص، وتتأمل فيها، وتدرسها، وتعيشها، وتتعمّق فيها، وتستنبط منها معان جديدة ومتجددة، وفق الظروف التاريخية الراهنة، مع البقاء أمينة على جوهر هذه النصوص المؤسِّسة. بكلمة، تتحول النصوص إلى تراث وإلى ثقافة وإلى تقليد، هو هنا التراث المسيحي أو الثقافة المسيحية، أو التقليد المسيحي وفق التسمية اللاهوتية.

فيما يتعلق بمريم العذراء، نحن أمام كمٍّ هائل من هذا التراث بكل أشكاله وصوره، من تفكير لاهوتي، وممارسة حياتية، وروحانية، ومن تطور طقسي أو ليتورجي أو معماري، وفي الشعر، والفن بكل أنواعه، والأدب الخ... ألخ... بالطبع لا نستطيع أن نلمَّ بكل ذلك في عجالة من هذا النوع، فنكتفي بالمعالم أو العناوين الكبرى لهذا التراث، على أمل أن نقدم، ولو فكرة اجمالية، عن مكانة مريم العذراء في التراث المسيحي. ولا بدّ لي من القول إن هذا العرض يأتي على خلفية كاثوليكية، مع العلم أن التقليد الكاثوليكي والأرثوذكسي يتقاطعان تقاطعا واسعا في هذا المجال.

---

* أستاذ في المعهد الكهنوتي – بيت جالا

مدخل

كمدخل لهذا العرض السريع، أتوقف عند نصين من الإنجيل المقدس يمكن أن يُمهِّدا لما سنقوله لاحقا:

١. **النص الأول** ورد في نشيد «تعظم»[١]، حيث تقول مريم العذراء: «سوف تهنئني بعد اليوم جميع الأجيال، لأن القدير صنع إليّ أمورا عظيمة: قدوس اسمه» (لوقا ١: ٤٨-٤٩). في هذا النشيد، تلقي مريم العذراء نظرة إلى المستقبل، وكأنها تتنبأ عن الإكرام الذي سيخصّها به المؤمنون على مدى الأجيال. والمُلفت أن السبب في ذلك ليس ما تدَّعيه هي لنفسها، بل ما صنع الله نفسه فيها من عظائم. وعليه، فإن اكرام مريم العذراء هو، في آخر الأمر، تمجيد لله ولقداسته ولإنعاماته. بكلمة، يكرم المسيحيون مريم العذراء، لأن الله نفسه أكرمها.

٢. **أما النص الثاني**، فقد ورد في مطلع سفر أعمال الرسل، الذي يروي نشأة الجماعة المسيحية الأولى في القدس، وتطورها في القرن الأول الميلادي. في هذا المطلع، نقرأ هذه الكلمات: «وكانوا (أي النواة الأولى للجماعة المسيحية) يواظبون جميعا على الصلاة بقلب واحد مع بعض النسوة **ومريم أم يسوع** ومع أخوته» (أعمال الرسل ١: ١٤). ما يهمنا في هذا النص هو حضور مريم العذراء في قلب الجماعة المسيحية الأولى، وكأن مريم العذراء احتضنت هذه الجماعة منذ نشأتها، كما أن الجماعة المسيحية، منذ نشأتها أيضا، احتضنت مريم العذراء. وهذا ما يفسّر التفاعل المتواصل والحي والحيوي بين الجماعة المؤمنة، اي الكنيسة، ومريم العذراء، وبين مريم العذراء والجماعة المسيحية، على مرّ الزمن. وهذا التفاعل اتخذ صورا وأشكالا متعددة نتوقف عند بعض تجلياتها في التراث المسيحي.

آباء الكنيسة ومريم العذراء

منذ القرون الأولى للمسيحية، أبرز آباء الكنيسة[٢] مكانة مريم العذراء في مجمل الإيمان المسيحي، على أنه جانب أساسي لهذا الإيمان، لما له من علاقة جوهرية ووثيقة وحميمة بالسيد المسيح، قلب الإيمان المسيحي.

شدّد آباء الكنيسة، في القرنين الأول والثاني، على أهمية مريم العذراء في المقاصد الإلهية الخلاصية. وأبرَزُ ما ذهبوا إليه هو المقارنة بين حواء ومريم العذراء[٣]. ويمكن أن نلخّص تفكيرهم في ما يلي: كما جلبت حواء اللعنة للبشرية، فإن مريم العذراء جلبت لها النعمة والبركة. يذكر القديس اغناطيوس الانطاكي (استُشهِد حوالي سنة ١٠٧) أن سلطان الشيطان لم يدرك بتولية مريم ولا أمومتها. أما القديس يوستينوس النابلسي (فيلسوف مسيحي ولد في نابلس واستشهد في روما حوالي سنة ١٦٧)، فإنه يذكر أن حواء «ولدت المعصية والموت. أما مريم فقد حملت الإيمان والفرح». وهذا ما يذكره أيضا القديس ايريناوس (المتوفي سنة ٢٠٢ تقريبا)، الذي يؤكد أن «حواء أغواها الشر وعصت الله. أما مريم فاستسلمت لطاعة الله وصارت المحامية عن حواء العذراء. إن حواء، وهي بَعْدُ عذراء، كانت سبب الموت لها وللجنس البشري بأسره. أما مريم العذراء فبطاعتها صارت لها وللجنس البشري بأسره سبب خلاص»[٤].

أما الفترة اللاحقة، فقد شهدت تفكيرا هاما حول لقب مريم العذراء «والدة الإله»، الواسع الانتشار في الشرق والغرب. ورد هذا اللقب في كتابات العديد من آباء الكنيسة في القرون الأولى، وثبّت نهائيا في مجمع أفسس (سنة ٤٣١) جوابا على بدعة نسطوريوس، الذي

أنكر على مريم العذراء هذا الاسم. وتلافيًا للبس المرتبط بهذا اللقب، فإن المطران بسترس يفسّره، معتمدا على كتابات الآباء وقرارات مجمع أفسس، كما يلي: «... وانطلاقا من هذا المبدأ يصح القول «إن مريم هي والدة الإله»، لا لأنها خلقت شخص ابن الله، إذ أن هذا الشخص كائن منذ الأزل مع الله، وهو الذي خلق مريم، بل لأن الشخص الذي اتخذ منها جسدا ونفسا بشريين، وحملته في أحشائها مدة تسعة أشهر وولدته، هو نفسه ابن الله الكائن منذ الأزل مع الله والذي صار انسانا»[٥]. قد يبدو التمييز دقيقا، ولكنه يدفع اللبس عما يعتقده المسيحيون، ويفسّر العقيدة نفسيرا صحيحا.

من هذا المنطلق، توالى آباء الكنيسة، في القرون اللاحقة، لشرح ما يتعلق بمريم العذراء ودورها في المخطط الخلاصي، ومكانتها في الإيمان المسيحي، في الشرق والغرب على حد سواء، مما لايتسع المجال هنا لعرضه عرضا وافيا[٦]. ومع ذلك، لا يسعنا هنا إلا أن نذكر القديس افرام السرياني (المتوفي سنة ٣٧٣)، والملقب بـ «قيثارة الروح القدس»، الذي نظم أناشيد كثيرة في مريم العذراء، تتسم بالرمزية والنَفَس الشعري وعمق التفكير اللاهوتي. وهي الأناشيد التي ترجمت إلى اللغات الأخرى، في حينه، وكان لها التأثير الكبير على مختلف الطقوس المسيحية في كل الكنائس. العديد من هذه الأناشيد نجدها إلى اليوم خصوصا في الطقس السرياني، والطقس الماروني المتفرع عنه. ولا نتطرق في هذه العجالة إلى التقاليد الكنسية المختلفة (من سريانية، وبيزنطية، وقبطية، وكلدانية، وأرمنية، ولاتينية وغيرها[٧])، فنكتفي بعرض سريع لمكانة مريم العذراء في التراث المسيحي عامة، لأن العرض لكل تقليد على حدة يتجاوز حدود هذا العرض المقتضب.

تحديد العقائد المسيحية المريمية[٨]

من المعروف أن العهد الجديد بشكل عام، والأناجيل بشكل خصوصي، ليست كتبا عقائدية بالمعنى الحصري، بمعنى أن نصوص العهد الجديد لا تقول لنا، على سبيل المثال، إن العقائد المسيحية بشأن السيد المسيح هي أولا كذا، وثانيا كذا... وكذلك الأمر بالنسبة لمريم العذراء والبنود الأخرى من الإيمان المسيحي.

إن الأناجيل[٩] رواية، رواية حياة السيد المسيح ومن هم حوله، وتعاليمه وأعماله. وهذه الرواية تنطوي على عقائد إيمانية. وما قام به المسيحيون عبر الأجيال، وخصوصا في الأجيال الأولى، أنهم تناولوا هذه الرواية وأبرزوا أو بلورا ما فيها من عقائد بشكل لاهوتي منهجي، ومنها العقائد التي تتصل بمريم العذراء. وهذا ما حصل في الأجيال الأولى للمسيحية وفي الأجيال اللاحقة أيضا. وحصل ذلك استجابةً لعوامل عدة، منها:

– **الداخلية**، أي التأمل الدؤوب بالنصوص الإنجيلية، حيث قرأ المسيحيون ما يقوله العهد الجديد بشأن مريم العذراء، وتأملوا فيه، وانكبّوا على دراسته، وترجموه إلى عقائد تساعد على فهم مكانة مريم العذراء ودورها في الإيمان المسيحي.

– **والخارجية**، وهي البدع أو الهرطقات[١٠] التي ظهرت على مدى الأجيال، والتي اضطرت الكنيسة على مواجهتها وإعلان الإيمان القويم، ومنها ما يتعلق بمريم العذراء.

ما هي العقائد الرئيسة التي حددتها الكنيسة، انطلاقا من الكتاب المقدس والتقليد؟ نتوقف عند أهمها:

١. **مريم العذراء والدة الإله:** مريم العذراء «والدة الإله» لقب تقليدي شاع في الكنيسة منذ الأجيال الأولى، وورد مرارا في كتابات آباء الكنيسة وغيرهم[١١]، ولكن نسطوريوس أنكر على مريم العذراء هذا اللقب. وكان أول المحتجين على هذه البدعة والغاضبين عليها المؤمنون أنفسهم، فوقفوا في وجه أصحابها، ونعتوا تعليمهم بالتجديف. أستدعت هذه البدعة تدخُّل الكنيسة، التي عقدت مجمعا مسكونيا لهذا الغرض، هو مجمع افسس (٤٣١)[١٢]، الذي حرم هذه البدعة وأعاد الأمور إلى ما كنت عليه في السابق، كما أوضحنا أعلاه[١٣]. ومن المعروف أن هذا اللقب عزيز جدا على قلوب المسيحيين الشرقيين، وتأتي على ذكره صلواتهم الطقسية بغير انقطاع[١٤].

٢. **بتولية مريم العذراء:** تشكل بتولية مريم العذراء جانبا هاما من العقيدة المسيحية منذ البداية، استنادا إلى ما ورد في الإنجيل[١٥]. وقد وجدت هذه العقيدة التعبير الموجز عنها في «قانون الإيمان النيقاوي–القسطنطيني»[١٦] الذي يقول: «وتجسد بقوة الروح القدس، من مريم العذراء وتأنس». وينطوي إيمان الكنيسة على أن مريم هي عذراء

* **قبل الولادة**، اي ليس من زرع رجل، بل بقوة الروح القدس؛
* **واثناء الولادة**، كما تؤكد على ذلك الصلوات الطقسية منذ العصور الأولى: «لقد تمّ اليوم عجب عظيم مستغرَب، فإن بتولا تلد وتبقى عذراء كما كانت... الطفل يولد دون أن يزيل بتولية أمه» (الطقس البيزنطي)؛

* **وبعد الولادة**، وهذا ما أكده آباء الكنيسة في الشرق والغرب، والذي يمكن تلخيصه فيما يلي: «إن الله قد امتلك كل كيان مريم العذراء، فلا بد أن تكون قد كرّست لله ذاتها بكل قوى جسدها ونفسها وروحها»[١٧].

أما اللقب الذي يجمع هذه الجوانب الثلاثة لبتولية مريم فهو «مريم العذراء الدائمة البتولية»، الذي كثيرا ما يرد في الصلوات المسيحية، الطقسية وغير الطقسية. أما الأيقونات الشرقية، فإنها تشير إلى هذه العقيدة عن طريق الأنجم الثلاث الذي تزيّن عادةً أيقونة مريم العذراء: الأولى على كتف اليمين، وتشير إلى البتولية قبل الولادة، والثانية على الجبين، وتشير إلى البتولية اثناء الولادة، والثالثة على كتف الشمال، وتشير إلى البتولية بعد الولادة. وعليه، فإن مريم العذراء هي الوحيدة التي يُقال فيها إنها «العذراء والأم معًا».

٣. **براءة مريم من الخطيئة الأصلية:** عندما بشر الملاك جبرائيل مريم العذراء بمولد المخلص، قال لها: «يا ممتلئة نعمة» (لوقا١: ٢٨). ومن هذا المنطلق، يؤكد التراث الكنسي، في الشرق والغرب، قداسة مريم العذراء، التي يلقبها التقليد المسيحي بـ «الكليّة القداسة»، فيؤكد القديس يوحنا الدمشقي، على سبيل المثال، قائلا: «يا لغبطة يواكيم الذي ألقى زرعا طاهرا! ويا لعظمة حنة التي نمت في أحشائها شيئا فشيئا ابنة كاملة القداسة»، ويقول أيضا إن «سهام العدو النارية لم تقوَ على النفاذ إليها»[١٨]. وهذا كله حمل الكنيسة الكاثوليكية على التأكيد إن الله قد أنعم على مريم العذراء، منذ الحبل بها في أحشاء أمها حنة، بنعمة خاصة، هي براءة مريم من الخطيئة الأصلية. وقد حددت الكنيسة الكاثوليكية هذه العقيدة سنة ١٨٥٤، استنادا إلى قول الكتاب المقدس والتقليد حول قداسة مريم («الكلية القداسة»). وهذا موضع خلاف بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، لأن الكنائس الأرثوذكسية لا توافق على هذا التعريف العقائدي، «ليس ذلك انكارا منها لقداسة مريم العذراء، بل لأن نظرتها إلى الخطيئة الأصلية وعواقبها في الإنسان تختلف عن الكنيسة الغربية»[١٩].

٤. **انتقال مريم العذراء إلى السماء:** وهي عقيدة حددتها الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٩٥٠، استنادا إلى تقليد مسيحي يعود إلى القرون الأولى، وتؤكده الصلوات الطقسية الكثيرة[٢٠]. ويجمل هذا التقليد القديس يوحنا الدمشقي، في عظته الثانية عن رقاد السيدة، ومفاده «أن الرسل الأطهار جُذبوا بلحظة، ساعة رقاد السيدة، وأتوا من كل الجهات التي كانوا يبشرون فيها لأجل خلاص العالم، وارتقوا السحب بإشارة إلهية، ووفدوا على مقام البتول. ولما بلغوا إليها ظهر المسيح ابنها، فأودعت نفسها الطاهرة بين يديه. أما جسدها الذي حلّ فيه ابن الله، فشيعه الرسل ومن معهم بكل اجلال ودفنوه في الجسمانية. ولما انقضى اليوم الثالث فتح الرسل الحاضرون نعش البتول نزولا عند رغبة الرسول توما الذي لم يكن معهم، فلم يجدوا الجسد الكريم. فأخذتهم الدهشة والعجب... فاستنتجوا من الحادث أن الكلمة الأزلي الذي تنازل وأخذ جسدا من أحشائها النقية، وحفظ بتوليتها سالمة بعد ولادته منها، أراد أيضا أن يكرّم جسدها البتولي والبريء من الدنس ويقيه من الفساد والانحلال وينقله إلى دار الخلود قبل القيامة العامة»[٢١]. وهذا تقليد استمده القديس يوحنا الدمشقي من تقليد قديم في الكنيسة. لهذا السبب لا يقال «موت مريم العذراء»، بل «رقاد مريم العذراء». بما أن الموت هو نتيجة الخطيئة الأصلية، ومريم حماها الله من الخطيئة الأصلية، فمن الطبيعي ألا يكون للموت عليها من سلطان.

الأعياد المريمية

إن مكانة مريم العذراء في المسيحية تتجلّى أيضا في الأعياد التي خُصّصت لها على مدار الدورة الطقسية السنوية[٢٢]. ففي التقويم الكنسي للأعياد، تحتل مريم العذراء مكانة خصوصية. نذكر في ما يلي الأعياد المريمية الرئيسة، وأكثرها مشترك بين الشرق والغرب:

١. **عيد مريم العذراء والدة الإله:** رأينا كيف حُدّدت عقيدة «مريم العذراء والدة الإله» في مجمع أفسس (٤٣١). وقد تحوّلت هذه العقيدة إلى عيد سنوي يحتفل فيه في الغرب في الأول من كانون الثاني من مطلع كل سنة (اي في اليوم الثامن بعد عيد الميلاد)، وفي الشرق في السادس والعشرين من كانون الأول، أي غداة عيد الميلاد مباشرة.

٢. **عيد البشارة:** وهو العيد الذي يذكر بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء (راجع لوقا ١: ٢٦-٣٨). وهو عيد يحتفل به، في الشرق والغرب، في الخامس والعشرين من شهر آذار، اي تسعة اشهر قبل عيد الميلاد.

٣. **عيد الزيارة:** وهو العيد الذي يذكر زيارة مريم العذراء لأليصابات (راجع لوقا ١: ٣٩-٥٦). يحتفل بهذا العيد في الغرب في الحادي والثلاثين من شهر أيار، وفي الشرق يوم الجمعة الذي يلي عيد الفصح.

٤. **رقاد مريم العذراء أو انتقال السيدة إلى السماء**[٢٣]: ترك لنا التقليد المسيحي كتابًا بعنوان «رقاد مريم»، ويروي لنا وفاة مريم العذراء وحولها الرسل، وهو التقليد الذي يستند إليه يوحنا الدمشقي في معرض كلامه عن انتقال مريم العذراء إلى السماء[٢٤]. أما العيد فيحتفل به في الخامس عشر من آب من كل سنة، في الشرق والغرب[٢٥].

٥. **عيد مريم العذراء البريئة من الخطيئة الأصلية:** ذكرنا أعلاه التحديد العقائدي لبراءة مريم العذراء من الخطيئة الأصلية، الذي تحوّل إلى عيد يحتفل فيه في الغرب في الثامن من

شهر كانون الأول، وفي الكنائس الشرقية الكاثوليكية في التاسع من الشهر عينه.

٦. **عيد ميلاد مريم العذراء:** ويحتفل به في الشرق والغرب في الثامن من شهر أيلول. وهنا لا بد من القول إن الأناجيل لا تذكر شيئا عن مريم العذراء قبل بشارة الملاك لها، لا عن مولدها، ولا عن والديها، ولا عن ظروف أخرى لحياتها. غير أن الأناجيل المنحولة[٢٦]، التي كثرت في القرون الأولى للمسيحية، وأهمها هنا هو انجيل القديس يعقوب، فإنها تورد تفاصيل مختلفة عن مريم العذراء، ومنها ولادتها في القدس قرب الهيكل حيث كان أبواها (وتذكر هذه الأناجيل اسميهما: يواكيم وحنة) يعيشان، وكذلك تقدمتها إلى الهيكل. وقد أخذ التقليد المسيحي بهذه التفاصيل. من هنا، جاء العيد بميلاد مريم العذراء. وبعض الوثائق تذكر أن مكان بيت والدي مريم العذراء كان بالقرب من بركة حسدا (اليوم: الصلاحية)، حيث بُنيت كنيسة هناك بين سنة ٤٠٠ و ٦٠٠. ومن المؤكد أن هذا العيد نشأ في القدس، وبالذات في هذه الكنيسة.

٧. **عيد تقدمة مريم العذراء إلى الهيكل:** هنا أيضا، لا تذكر الأناجيل تقدمة مريم العذراء إلى الهيكل، ولكن الأناجيل المنحولة تشير إليه. من هنا، جاء عيد تقدمة مريم العذراء إلى الهيكل، كما كانت العادة لكل مولود جديد في العهد القديم. يحتفل بهذا العيد في الشرق والغرب في الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني.

٨. **عيد مريم العذراء سيدة فلسطين:** هذا العيد مُستحدَث، وهو خاص بالبطريركية اللاتينية في القدس، وقد وضعه البطريرك لويس برلسينا، بطريرك القدس للاتين، سنة ١٩٢٧، ويحتفل به في الخامس والعشرين من تشرين الأول من كل سنة. ومريم العذراء «سيدة فلسطين» هو لقب مستحدث أيضا، ويضاف إلى الألقاب الكثيرة التي تُطلق على مريم العذراء.

وثمة أعياد أخرى ثانوية، في الشرق والغرب، لا يتسع المجال هنا لذكرها كلها، كما لا يتسع المجال للدخول في الحيثيات التاريخية لكل عيد من هذه الأعياد. ولكننا نختتم هذه الفقرة بملاحظتين:

١. ما وصلنا إلى القرن السادس الميلادي حتى أصبحت معظم هذه الأعياد ثابتة، وبقيت كما نعرفها اليوم، بالرغم مما أضيف إليها، هنا هناك، على مدى الأجيال.

٢. يجب القول إن الكثير من هذه الإعياد نشأت في فلسطين، لكونها أرضا مقدسة شهدت حياة السيدة العذراء. فقد شيّدت الكنائس في الأمكنة التي عاشت فيها مريم العذراء. وشيئا فشيئا ولدت الأعياد حول هذه الأماكن والكنائس، التي تذكر هذا الحدث أو ذاك. ومن الأرض المقدسة، انتشرت هذه الأعياد في الشرق، ومنه في العالم المسيحي باسره.

نماذج من التقوى الشعبية

يكنّ الشعب المؤمن، في الشرق والغرب، للعذراء مريم أشدَّ المشاعر وأعمقها وأصدقها. وشيئا فشيئا انتشرت في التاريخ بعض مظاهر التقوى الشعبية التي يعبّر فيها المؤمنون عن إكرامهم للسيدة العذراء. لا نستطيع أن نلمّ بجميع هذه المظاهر، ولكننا نتوقف، على سبيل المثال، عند أربعة منها، اثنين في الشرق، واثنين في الغرب.

نورد هنا **نموذجين** من الشرق:

١. **صلاة المدائح:** إن «المدائح» رتبة كنسية تقام في كل يوم جمعة من أيام الأسابيع الخمسة الأولى من الصيام الأربعيني، في الطقس البيزنطي. وهي عبارة عن «مدائح»، كما يدل اسمها، للسيدة العذراء، وكتب أناشيدها القديس رومانس المرنم، وهو شاعر سوري من حمص عاش في القرن السادس[٢٧]، وقد كتبت بأسلوب شعري جميل، ولها شعبية بين المؤمنين الذين يتبعون الطقس البيزنطي.

من صلوات المدائح:
« السلام عليك يا من منها يشرق الفرح،
السلام عليك يا من بها تضمحل اللعنة،
السلام عليك يا مُنهضة آدم الساقط،
السلام عليك، يا مُنقذة حواء من الدموع».

٢. **«ابتهال»** (باليونانية البراكليسي، وتعني «ابتهال»)، وهي ابتهالات تتوجه إلى مريم العذراء، وتتلى في مساء كل يوم من الأيام الخمسة عشر الأولى من شهر أيار (استعدادا لعيد انتقال السيدة في الخامس عشر من شهر آب)، وتمتد بعده إلى يوم ٢٣ آب، وهي بمثابة الشهر المريمي في الطقس البيزنطي. يعود تأليف هذه الابتهالات إلى القرن التاسع، وتطورت عبر الأجيال لتصل إلى صيغتها الحالية[٢٨].
من صلوات هذا الابتهال:

«لقد جعلتكِ، يا والدة الإله العذراء، نصيرا وملجأ لحياتي.
فأنتِ قودينِي إلى ميناكِ،
يا علّة الصالحات وسند المؤمنين،
يا جديرة بكل مدح وحدَكِ».

ونورد ايضا نموذجين من الغرب:

١. **السبحة الوردية:** نشأت هذه الصلاة في القرن الثاني عشر في الغرب، وتطورت مع الزمن لتصبح على الشكل الذي هي عليه اليوم[٢٩]. وهي صلاة تتلى بالاستعانة بسبحة تتكوّن من خمس مراحل (وتُدعى شعبيا بـ «الأبيات»)، وهي مصنوعة، في بلادنا، من خشب الزيتون. وفي كل مرحلة أو بيت يتلو المؤمنون عشر مرات صلاة «السلام عليك يا مريم» ويفتتحونها بالصلاة الربية («ابانا الذي في السماوات...») ويختتمونها بتمجيد الثالوث الأقدس («المجد للآب والابن والروح القدس...»). وبينما يتلون هذه الصلوات يتأمّلون في حياة السيد المسيح والسيدة العذراء. ويرتبط بالسبحة الوردية أيضا ما يُدعى «طلبة مريم العذراء»، وهي سلسلة من الألقاب التي يطلقها المؤمنون على مريم العذراء (وهي أكثر من خمسين لقبا)، ويتلونها مجيبين على كل لقب «صلي لأجلنا» (على سبيل المثال: يا قديسة مريم، يا أما عفيفة، يا اما عجيبة، يا نجمة الصبح، يا معزية الحزان ألخ... ألخ). ويمكن أن نذكر هنا «صلاة الملاك»، وهي الصلاة التي تُتلى عند قرع جرس الملاك كلّ يوم الساعة الثانية عشر ظهرا، وهي صلاة مريمية أهم كلماتها مأخوذة من بشارة الملاك لمريم العذراء.
٢. **الشهر المريمي:** يخصّص التقليد الغربي (وبالتالي، ايضا الكنيسة اللاتينية في الأرض المقدسة) شهرا كاملا لذكر مريم العذراء وإكرامها والابتهال اليها، وهو شهر أيار (المدعو

نورد هنا **نموذجين** من الشرق:
١. **صلاة المدائح:** إن «المدائح» رتبة كنسية تقام في كل يوم جمعة من أيام الأسابيع الخمسة الأولى من الصيام الأربعيني، في الطقس البيزنطي. وهي عبارة عن «مدائح»، كما يدل اسمها، للسيدة العذراء، وكتب أناشيدها القديس رومانس المرنم، وهو شاعر سوري من حمص عاش في القرن السادس[٢٧]، وقد كتبت بأسلوب شعري جميل، ولها شعبية بين المؤمنين الذين يتبعون الطقس البيزنطي.

من صلوات المدائح:
« السلام عليك يا من منها يشرق الفرح،
السلام عليك يا من بها تضمحل اللعنة،
السلام عليك يا مُنهضة آدم الساقط،
السلام عليك، يا مُنقذة حواء من الدموع».

٢. «**ابتهال**» (باليونانية البراكليسي، وتعني «ابتهال»)، وهي ابتهالات تتوجه إلى مريم العذراء، وتتلى في مساء كل يوم من الأيام الخمسة عشر الأولى من شهر أيار (استعدادا لعيد انتقال السيدة في الخامس عشر من شهر آب)، وتمتد بعده إلى يوم ٢٣ آب، وهي بمثابة الشهر المريمي في الطقس البيزنطي. يعود تأليف هذه الابتهالات إلى القرن التاسع، وتطورت عبر الأجيال لتصل إلى صيغتها الحالية[٢٨].
من صلوات هذا الابتهال:

«لقد جعلتكِ، يا والدة الإله العذراء، نصيرا وملجأ لحياتي.
فأنتِ قودينني إلى ميناكِ،
يا علّة الصالحات وسند المؤمنين،
يا جديرة بكل مدح وحمدكِ».

ونورد ايضا نموذجين من الغرب:

١. **السبحة الوردية:** نشأت هذه الصلاة في القرن الثاني عشر في الغرب، وتطورت مع الزمن لتصبح على الشكل الذي هي عليه اليوم[٢٩]. وهي صلاة تتلى بالاستعانة بسبحة تتكوّن من خمس مراحل (وتُدعى شعبيا بـ «الأبيات»)، وهي مصنوعة، في بلادنا، من خشب الزيتون. وفي كل مرحلة أو بيت يتلو المؤمنون عشر مرات صلاة «السلام عليك يا مريم» ويفتتحونها بالصلاة الربية («ابانا الذي في السماوات...») ويختتمونها بتمجيد الثالوث الأقدس («المجد للآب والابن والروح القدس...»). وبينما يتلون هذه الصلوات يتأمّلون في حياة السيد المسيح والسيدة العذراء. ويرتبط بالسبحة الوردية أيضا ما يُدعى «طلبة مريم العذراء»، وهي سلسلة من الألقاب التي يطلقها المؤمنون على مريم العذراء (وهي أكثر من خمسين لقبا)، ويتلونها مجيبين على كل لقب «صلي لأجلنا» (على سبيل المثال: يا قديسة مريم، يا أما عفيفة، يا اما عجيبة، يا نجمة الصبح، يا معزية الحزان ألخ... ألخ). ويمكن أن نذكر هنا «صلاة الملاك»، وهي الصلاة التي تُتلى عند قرع جرس الملاك كلّ يوم الساعة الثانية عشر ظهرا، وهي صلاة مريمية أهم كلماتها مأخوذة من بشارة الملاك لمريم العذراء.
٢. **الشهر المريمي:** يخصّص التقليد الغربي (وبالتالي، ايضا الكنيسة اللاتينية في الأرض المقدسة) شهرا كاملا لذكر مريم العذراء وإكرامها والابتهال اليها، وهو شهر أيار (المدعو

٥. **مغارة الحليب في بيت لحم:** تقع بالقرب من كنيسة المهد، في الجهة الجنوبية الشرقية. وبحسب التقليد، فإن مريم العذراء، أثناء توجهها إلى مصر هربا من بطش هيرودس، توقفت هناك وأرضعت الطفل يسوع. والمزار عبارة عن مغارة تحولت مع الوقت إلى كنيسة قبل القرن الخامس. ولهذا المزار شعبية في منطقة بيت لحم، إذ تؤمه الأمهات لطلب البركة.

٦. **مزار السيد العذراء سيدة فلسطين:** هذا المزار حديث العهد، كما أسلفنا، ويعود الى سنة ١٩٢٧، واشاده البطريرك اللاتيني، لويس برلسينا، ويقع في رافات (غربي القدس)، ويُحتفل فيه بعيد مريم العذراء سيدة فلسطين يوم الخامس والعشرين من تشرين الثاني، ويؤم المزار المؤمنون من جميع أنحاء فلسطين في هذه المناسبة. ومن خصائص هذا المزار أن جدران الكنيسة مزينة بصلاة «السلام عليك يا مريم...» في أكثر من ٤٠٠ لغة من لغات العالم[٣٤].

مريم العذراء في الفن

طيلة ألفي عام، قام الفنانون من جميع أنحاء العالم برسم مريم العذراء في الآلاف المؤلفة من الرسومات. وقد لا تجد كنيسة إلا وتزين جدرانها صورة أو أيقونة مريمية. وفي هذا المجال، تنفرد أهمية الأيقونات الشرقية، حيث تحتل مريم العذراء مرتبة مرموقة. ويذكر تقليد متواتر وشائع جدا أن أول مَنْ رسم أيقونة مريم العذراء هو الانجيلي لوقا، الذي يذكر التاريخ أنه كان رساما ايضا. ومن الجدير بالذكر أن العديد من البلدان تحتفظ بأيقونة يقال إنها من رسم الانجيلي لوقا (سوريا، مصر روما، بولونيا، روسيا...)، لعل اقدمها الأيقونة الموجودة في روما، والتي تعود إلى القرن الخامس.

ولقد ازدهرت الايقونوغرافيا الشرقية بعد الحرب المعروفة بحرب الأيقونات في القرن الثامن، ومنها الأيقونوغرافيا المريمية[٣٥]. ولعل أشهر هذه الأيقونات أيقونة «عذراء فلاديمير»، وهي ايقونة رسمت في القسطنطينية في أوائل القرن الثاني عشر، وسرعان ما انتقلت منها إلى كييف، ومن ثم إلى فلاديمير (ومنها أخذت اسمها «عذراء فلادمير»)، وبعدها إلى موسكو، وهي اليوم محفوظة في متحف ترتياكوف الشهير. ومن المعروف أن هذه الأيقونة رافقت جميع مراحل تاريخ الشعب الروسي، وكان المؤمنون الروس يلجأون إليها في الصعوبات والملمات[٣٦].

ونشير هنا إلى أن المؤمنين في بلادنا (وفي الشرق عموما) كثيرا ما يحتفظون بأيقونة مريمية في بيوتهم، ويضيئون أمامها قنديلا من الزيت، ويطلبون شفاعتها، ويخصّونها بالإهتمام والإكرام. كما تجدر الإشارة أن الكنائس الشرقية تحمل في الإيكونوستاس (الايكونوساس هو الجدار العازل بين الشعب والمذبح في الكنائس الشرقية) صورتين أساسيتين، على اليمين أيقونة السيد المسيح، وعلى اليسار أيقونة مريم العذراء. وفي بداية الصلوات الطقسية وفي نهايتها، ينحني الكاهن لهاتين الأيقونتين مع صلوات مرافقة.

بالإضافة إلى الأيقونات والرسومات، لا بد من ذكر الترانيم المريمية، التي لحنها كبار الموسيقيين في العالم. أما في الطقوس المسيحية، فإننا نجد عددا واسعا جدا من هذه الترانيم. يتميز الطقس البيزنطي بهذه الترانيم الجميلة والقريبة من قلوب المؤمنين، الذي يرددونها جيلا بعد جيل (على سبيل المثال: يا نصيرة المسيحيين، إنه واجب حقا، يا من هي أكرم من الشروبيم...). أما في الطقس اللاتيني، فتكثر الترانيم المريمية التي يعرفها المؤمنون عن ظهر قلب ويرددونها في مختلف المناسبات الطقسية، خصوصا في شهر أيار[٣٧].

خاتمة

نختم هذه العجالة بمجموعة من الملاحظات:

١. **مريم العذراء في اللاهوت المعاصر**: كانت مريم العذراء، طيلة الفي عام، موضع دراسة لاهوتية منقطعة النظير. ولا يزال التفكير اللاهوتي في ايامنا الحاضرة يولي مريم العذراء دراسة خصوصية. وفي هذا المجال، يمكن أن نذكر المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي أفرد لها فصلا خصوصيا في دستور عقائدي في الكنيسة[٣٨]، الذى أعطى دفعة قوية لهذا التفكير اللاهوتي، ليس فقط في الكنيسة الكاثوليكية، بل في مختلف الكنائس المسيحية. ويمكن أن نذكر هنا بعض التوجهات اللاهوتية في وقتنا الحاضر، منها التركيز على مكانة مريم العذراء في سر السيد المسيح والكنيسة، حيث أن دور مريم العذراء لا ينفصل عن السيد المسيح والكنيسة، وايضا اللاهوت النسائي، الذي عالج صورة مريم العذراء كمصدر الهام لهذا اللاهوت، وايضا اللاهوت الانساني او الانتروبولوجي، الذي يحاول ابراز صورة مريم العذراء كنموذج انساني من الطراز الأول[٣٩]، وأخيرا اللاهوت التحرري، الذي يرى في مريم العذراء (وخصوصا في نشيدها «تعظم») نموذجا للتحرر الانساني من جميع جوانبه[٤٠].

٢. **مريم العذراء جسر بين الاسلام والمسيحية**: إن الاسلام يكرم العذراء ويقول فيها أشياء مذهلة (راجع الدراسات الواردة في هذا الكتيب). إن هذا الوجه الروحي والانساني خليق بأن يقرب بين المسلمين والمسيحيين، في وقت تأخذ هذه العلاقات منحى جديدا في ظل متغيرات كثيرة.

٣. **مريم العذراء في حياة المؤمنين**: تُشكِّل مريم العذراء نموذجا إيمانيا ساميا، بإيمانها، وطاعتها لله، والعمل بكلامه، ومحبتها، وانفتاحها على القريب والآخر، وانسانيتها. إن التعامل مع مريم العذراء، في الإكرام والصلاة، ينقي النفس ويرفعها صافية إلى خالقها.
ولا يسعنا إلا أن ننهي بهذه الكلمات التي قالها اللاهوتي المسيحي الكبير، اوريجينوس، في القرن الرابع: «إن المسيح قد جاء من أجلي في الجسد... وإن لأمّه عليَّ دينًا، أن اقدّس سرّها، وأن أعظّم ذكرها».

x x x

المراجع المستخدمة:

– المطران كيرلس سليم بسترس، **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الجزء الرابع: مريم العذراء أم ربنا يسوع المسيح**، المكتبة البوليسية (لبنان)، ١٩٩٣، ١٢٣ صفحة.

– البابا يوحنا بولس الثاني، **رسالة راعوية: في الطوباوية مريم العذراء في حياة الكنيسة عبر مسيرتها على الأرض**، منشورات اللجنة الأسقفية للإعلام (لبنان)، ١٩٨٧، ١٠٢ صفحة.

– **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، عرّبه عن الطبعة اللاتينية الأصلية المتروبوليت حبيب باشا، المطران يوحنا منصور، المطران كيرلس سليم بسترس، الأب يوحنا الفاخوري، المكتبة البوليسية ومنشورات الرسل (لبنان)، ١٩٩٩، ١٠٤٧ صفحة.

– المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي «في الكنيسة»، الفصل الثامن: «**الطوباوية مريم أم الله في سر المسيح والكنيسة**»، في: **المجمع الفاتيكاني الثاني، دساتير–قرارات–بيانات**، منشورات المكتبة البوليسية (لبنان)، ١٩٩٢، ص ١٠٥–١١٦.

– المنسنيور جورج سابا، **مريم العذراء في الأرض المقدسة: إكرامها ومزاراتها**، دار المشرق (لبنان)، ١٩٩٣، ٥٩ صفحة.

– **الموسوعة المريمية الجديدة**، المنشورات البوليسية (ايطاليا)، في اللغة الايطالية، ١٥٦٠ صفحة.
(في الايطالية:
Nuovo Dizionario di Mariologia, a cura di Stefano De Fiores e Salvatore Meo, Ed. Paoline, ١٨٨٥, ١٥٦٠ pages.

– **الدليل الكتابي والسياحي للأرض المقدسة**، ترجمه عن الإيطالية جوزيف حزبون، مطبعة الآباء الفرنسيسكان–القدس، ١٩٩٨، ٢٦٥ صفحة.
بالإضافة إلى المراجع المذكورة في النص.

١– «**تعظم نفسي الرب**» هو النشيد، الذي نطقت به مريم العذراء لدى زيارتها لأليصابات (راجع لوقا ١: ٤٦–٥٥)، والذي تردده الكنيسة، في الطقس اللاتيني، في صلاة الغروب اليومية، بينما تتلوه الكنيسة البيزنطية في صلاة السحر.

٢– يطلق اسم «آباء الكنيسة» على جميع الذين امتازوا بقداسة السيرة والعلم الواسع، وعاشوا خصوصا في القرون الثمانية الأولى من تارخ الكنيسة. يشكل هؤلاء مرجعا أساسيا، في الشرق والغرب، لمعرفة الإيمان المسيحي في القرون الأولى. ومنهم في الشرق، على سبيل المثال: القديس أثناسيوس، والقديس يوحنا الذهبي الفم، والقديس باسيليوس، والقديس غريغوريوس النازيانزي، والقديس افرام السرياني، وغيرهم. وفي الغرب: القديس اغسطينس، والقديس يرونيموس، والقديس لاون الكبير، والبابا غريغوريوس الكبير، وغيرهم.

٣– راجع: الأب د. وليم الشوملي، «**هل مريم هي الحواء الجديدة؟... الجواب من الليترجية**»، مجلة «اللقاء»، العدد ١/١٩٩٠، ص ٥٥–٦٧.

٤– لجميع هذه الاقتباسات، راجع: المطران كيرلس سليم بسترس، **اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر**، الجزء الرابع: **مريم العذراء أم ربنا يسوع المسيح**، منشورات المكتبة البوليسية، ١٩٩٣، ص ٤٧–٤٩.

٥– المرجع نفسه، ص ٥٤.

٦– يمكن الرجوع هنا إلى : **المعجم المريمي الجديد**، عند لفظة «**آباء الكنيسة**»، وهو في اللغة الايطالية، ونشر في ايطاليا في المنشورات البوليسية، ١٩٨٥، ص ١٠٤٤–١٠٨٠.

٧– راجع، على سبيل المثال: الأب ماروثا حنا، «**مريم العذراء في التقليد السرياني**»، مجلة «اللقاء»، العدد ٣–٤/٢٠٠٢، ص ١٦١–١٧١، وايضا: الأب افرايم الأورشليمي، «**مريم العذراء في التقليد القبطي**»، المرجع عينه، ص ١٧٢–١٧٩؛ وكذلك: المطران عطاالله حنا، «**مريم العذراء في التقليد الأرثوذكسي**»، المرجع عينه، ص ١٨٠–١٨٩.

٨– مريمية، نسبة إلى مريم العذراء، وسنستعمل هذه الصفة مرارا في هذه العجالة.

٩- كلمة «إنجيل» يونانية الأصل، ومعناها «الخبر السار».

١٠- البدعة أو الهرطقة (من أصل يوناني، وتعني التعليم الخارج عن السراط المستقيم) هي تعاليم خرجت عن الإيمان القويم. وقد واجهت الكنيسة هذه البدع أو الهرطقات عن طريق تعليم آباء الكنيسة، وخصوصا عبر المجامع المسكونية، وهي اجتماعات كانت تضم أساقفة «المسكونة»، اي العالم المعروف في ذلك الوقت (يشكل اساسي، حوض البحر المتوسط). كان أول هذه المجامع مجمع نيقيا (نسبة إلى المدينة التي عقد فيها، وهي مدينة، في حينه، في آسيا الصغرى، أي تركيا حاليا) سنة ٣٢٥، وقد بتّ في بدعة آريوس.

١١- راجع: بسترس، الكتاب المذكور أعلاه، ص ٥٠-٥١.

١٢- المرجع نفسه، ص ٥١-٥٦.

١٣- ومن المعروف أن الشعب المؤمن أحاط بالمكان الذي عقد فيه المجمع، وطالب الأساقفة، بالتهديد، بإدانة بدعة نسطوريوس. وعندما سمع المؤمنون بقرارات المجمع المُدينة لبدعة نسطوريوس، اعربوا عن ابتهاجهم العظيم، وراحوا يطوفون في شوارع المدينة وبأديهم الشموع وهم يهتفون باليونانية «تيوتوكوس! تيوتوكوس!»، أي «والدة الإله! والدة الإله!».

١٤- على سبيل المثال: «إنه واجب حقا أن نغبّطك يا والدة الإله الدائمة الغبطة، والمنزهة عن كل عيب وأم إلهنا. يا من هي أكرم من الشيروبيم، وأمجد بلا قياس من السيرافيم، يا من بغير فساد ولدت كلمة الله، إنك حقا والدة الإله، إياك نعظّم»، وهو نشيد يُرتّل في القداس الإلهي: راجع: **كتاب الصلاة لاستعمال المؤمنين ذوي الطقس البيزنطي**، جمعه وشرحه تاوفيطوس إدلبي، لبنان، ١٩٦٢، ص ٣٧٣.

١٥- لدى بشارة الملاك جبرائيل لها بمولد المخلص، سألت مريم: «كيف يكون لي هذا ولا ولاأعرف رجلا؟»، فأجابها: «إن الروح القدس يحلّ عليك وقوة العليّ تظلّلك، لذلك يكون المولد قدّوسا وابن العلي يُدعى» (راجع لوقا ١: ٣٤-٣٥).

١٦- «قانون الإيمان النيقاوي-القسطنطيني» هو اللائحة الأساسية للمعتقدات المسيحية، وقد تمت صياغة القسم الأكبر منه في مجمع نيقيا (٣٢٥)، وأُكمل في مجمع القسطنطينية (٣٨١)، وقانون الإيمان هذا تعترف به جميع الكنائس المسيحية الكبرى (من كاثوليكية وأورثوذكسية وبرتستنطية): راجع: **التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية**، عرّبه عن الطبعة اللاتينية الأصلية المتربوليت حبيب باشا، والمطران يوحنا منصور، والمطران كيرلس سليم بسترس، والأب يوحنا الفاخوري، المكتبة البوليسية ومنشورات الرسل، لبنان، ١٩٩٩، ص ٨٣-٨٤.

١٧- بسترس، الكتاب المذكور أعلاه، ص ٧١.

١٨- راجع: بسترس، المرجع عينه، ص ٧٥-٧٦.

١٩- المرجع نفسه، ص ٧٩، وبخصوص هذا الجدل بين الكنيستين: المرجع نفسه، ص ٧١-٨١.

٢٠- على سبيل المثال: «إن الملك إله الكل قد منحك ما يفوق الطبيعة، لأنه كما صانك في الولادة عذراء، كذلك صان جسدك في الرمس بغير فساد، ومجدّك معه بانتقالك الإلهي، وأولاكِ شرفا شأن ابن مع أمه» (الطقس البيزنطي).

٢١- راجع: بسترس، المرجع عينه، ص ٨٦-٨٧.

٢٢- السنة الليتورجية أو الطقسية هي الدورة السنوية للأعياد المسيحية التي تنتظم على مدار أيام السنة، وتشمل أعياد السيد المسيح (المدعوة «الأعياد السيدية»)، ومريم العذراء (وتدعى «الأعياد المريمية»)،

والقديسين، بالإضافة إلى الأزمنة الطقسية (زمن المجئ، زمن الصيام الأربعيني...).

٢٣- راجع: الأب جوزيف صغبيني، «**عيد انتقال العذراء في الطقس البيزنطي (١٥ آب)**»، مجلة «اللقاء»، ١٩٨٨/٢، ص ٦١-٧٣.

٢٤- راجع الحاشية رقم ٢١.

٢٥- يجب أن نأخذ بعين الاعتبار اختلاف التقويم. فالشرقيون يتبعون التقويم اليولياني، أما في الغرب فيتبعون التقوين الغريغوري. والفرق بين التقومين ١٣ يوما. وعليه يأتي عيد انتقال السيدة في الغرب يوم ٨/١٥، ويوم ٨/٢٨ في الشرق.

٢٦- الأناجيل المنحولة هي مؤلفات تشبه الأناجيل، ولكنها غير معترف بها من قبل الكنيسة. وقد انتشرت مثل هذه الكتابات في القرون الأولى للمسيحية، ولا تعتمد عليها الكنيسة لتحديد عقائدها، ولكنها تذكر بعض التفاصيل حول مريم العذراء، التي بقيت في التقليد المسيحي، وتناقلتها الأجيال بتواتر.

٢٧- تجد نص هذه الصلاة في: كتاب **صلاة المؤمن**، المذكور أعلاه، ص ١٥٤٣-١٥٧٣، وفي مقدمة الصلوات تجد عرضا لنشأة هذه الصلاة وتطورها في التاريخ.

٢٨- تجد نص هذه الابتهالات في المرجع نفسه، ص ١٥٧٥-١٥٩٧، وهنا أيضا، في مقدمة هذه الصلوات، تجد شرحا لنشأتها وتطورها عبر الأجيال.

٢٩- عن نشأة هذه الصلاة وتطورها التاريخي، راجع: الأب ابراهيم بطارسة، **مع العذراء في أيار**، بدون مطبعة، ٢٠٠٨، ص ٧٩-٨٥.

٣٠- وضعت كتب في مختلف لغات العالم لمساعدة المؤمنين على المشاركة في ايام هذا الشهر. نذكر آخرها، على سبيل المثال، قي بلادنا: الأب ابراهيم بطارسة، **بالحب والإكبار مع العذراء في أيار**، بدون مطبعة، ٢٠٠٨، ٤٤٤ صفحة.

٣١- عن نشأة وتطور هذا الشهر، انظر المرجع نفسه، ص ٢٩-٣٤.

٣٢- لا بد من الإشارة هنا إلى أن التقليد المسيحي يذكر ثلاثة أمكنة لرقاد العذراء: الأول في مدينة أفسس (حاليا، تركيا)، حيث كان يوحنا الإنجيلي مقيما، والثاني هو سنتا مريم المذكور هنا، والثالث على جبل صهيون بالقرب من علية حلول الروح القدس. وفي جميع هذه الأماكن كنائس قديمة.

٣٣- راجع: المنسنيور جورج سابا، المرجع المذكور، ص ٢٧-٢٨. ولا بدّ من أن نذكر هنا أن تقليدا آخر يحدد موضع ميلاد العذراء في قرية صفورية (الجليل)، حيث كان يسكن والداها يواكيم وحنة. وقد بنيت هنالك كنيسة لا تزال آثارها موجودة إلى اليوم.

٣٤- لجميع هذه المزارات وغيرها، راجع: المنسنيور جورج سابا، مريم العذراء في الأرض المقدسة: إكرامها ومزاراتها، دار المشرق (لبنان)، ص ٢٧-٤٧، وايضا: الدليل الكتابي والسياحي للأرض المقدسة، ترجمه عن الايطالية جوزيف حزربون، مطبعة الآباء الفرنسيسكان (القدس)، ١٩٩٨.

٣٥- راجع: دانيال روسو، الأيقونة بهاء وجهك، نقله إلى العربية مشير باسيل عون، جامعة الروح القدس (لبنان)، ٢٠٠٤، خصوصا ص ٢١٣-٢٢٧. راجع أيضا: الأخت ماري بول، «الأيقونات المريمية: لاهوتها، روحانيتها ورموزها»، مجلة «اللقاء»، العدد ١٩٨٨/٢، ص ٥١-٦٠.

٣٦- المرجع نفسه، ص ٢٢١-٢٢٧، وايضا: البابا يوحنا بولس الثاني، الرسالة الرعوية: في الطوباوية مريم العذراء في حياة الكنيسة عبر مسيرتها على الأرض، اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام (لبنان)، ١٩٨٧،

ص ٦٣، حيث يقول البابا: «ويجدر بنا أن نذكر أيضا ايقونة عذراء فلاديمير التي رافقت شعوب روسيا القديمة في مسيرة إيمانهم» (ص ٦٣).
٣٧- راجع: كتاب الترنيم، إعداد اللجنة الليتورجية التابعة لبطريركية اللاتين (القدس)، منشورات المعهد الاكليريكي (بيت جالا)، ٢٠٠٦، خصوصا ص ٤٢٣-٤٧٧.

٣٨- المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي «في الكنيسة»، الفصل الثامن: «الطوباوية مريم أم الله في سر المسيح والكنيسة»، في: المجمع الفاتيكاني الثاني، دساتير-قرارات-بيانات، منشورات المكتبة البوليسية (لبنان)، ١٩٩٢، ص ١٠٥-١١٦.

٣٩- وهنا نذكر لاهوتيا ايطاليا يبرز المعاني الانتربولوجية الكامنة في شخص مريم والعقائد المتصلة بها: Bruno FORTE, Maria, la donna icona del Mistero, San Paolo, ٢٠٠٠, ٢٧١ pages). (في العربية: برنو فورتي، مريم، المرأة، أيقونة السر).

٤٠- راجع: الأب رفيق خوري، «مريم العذراء ولاهوت التحرر»، مجلة «اللقاء»، العدد ٣-٢٠٠٢/٤، ص ١٩٠-١٩٨.

القديسة مريم العذراء

القس د. نعيم عتيق*

إنّ أية دراسة مسيحية لحياة القديسة مريم العذراء يجب أن تأخذ بعين الاعتبار على الأقل جانبين مهمين.

الأول: النص الأساسي كما ورد في العهد الجديد من الكتاب المقدس والجدير بالذكر انه قبل نهاية القرن الميلادي الأول كانت النصوص الإنجيلية قد قُبلت من الكنيسة الأولى كمصدر أساسي معتمد وموثوق به لحياة ورسالة وخدمة السيد المسيح وعملية الفداء التي حققها بموته وقيامته.

الثاني: التطور الهائل الذي طرأ حول فهم شخص القديسة مريم العذراء في التقليد والتراث والعقيدة واللاهوت والليتورجية والروحانية خلال الألفي سنة الماضية وخاصة في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، بينما اقتصرت معظم الكنائس الإنجيلية في مفهومها عن مريم العذراء على ما احتواه النص في العهد الجديد. ويشمل هذا التطور مجالات الفن والأدب والهندسة المعمارية والموسيقى والأغاني بالإضافة إلى تقاليد خاصة في البلدان التي معظم سكانها من الكاثوليك كايطاليا واسبانيا وأميركا اللاتينية والكنائس الأرثوذكسية في اليونان وروسيا وشرق أوروبا وأماكن أخرى.

سوف أقتصر في ملاحظاتي على النص الإنجيلي كما ورد في العهد الجديد:
١. ذُكِرت القديسة مريم العذراء بالاسم تسع عشرة مرة في العهد الجديد ومعظم ذلك في الأناجيل الأربعة. وكلمة إنجيل في اليونانية « يوانغيليون « ومعناها: البشارة أو الأخبار السارّة.
٢. ذُكرت القديسة مريم عدة مرات ك « أم يسوع « أو « أمه « دون ذكر اسمها.
٣. ورد اسم «مريم» في إنجيل متى خمس مرات وفي إنجيل لوقا اثنتي عشرة مرّة وفي إنجيل مرقس مرة واحدة
أما في إنجيل يوحنا فهناك عدة إشارات لها ك « أم يسوع « دون ذكر الاسم «مريم» .
وقد أشير إليها في أعمال الرسل مرة واحدة بقوله «مريم أم يسوع» (أعمال ١: ١٤).
وفي رسالة بولس الرسول إلى كنائس غلاطية هناك إشارة إلى مريم العذراء دون ذكر الاسم « **فلما تم الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة ....** » (غلاطية ٤: ٤)

ولادة ونشأة مريم العذراء:
لا توجد أية نصوص إنجيلية عن مكان ولادة العذراء مريم. ولكن التقليد الكنسي ثابت وواضح فهو يشير إلى ما يلي:
١. كانت مريم ابنة الكاهن يواكيم وزوجته حنه. وقد ولدت في مدينة القدس – في المكان الذي اقيمت عليه كنيسة القديسة حنه (الرهبان البيض– الصلاحية). وأما مكان رقادها فهو في كنيسة ستنا مريم في القدس.
٢. هناك تقليد آخر يشير إلى أن مريم ولدت في مدينة صفورية قرب الناصرة في الجليل. وانها بعد قيامة السيد المسيح انتقلت مع التلميذ يوحنا الذي أوكله المسيح للعناية بها إلى مدينة أفسس حيث اكملت حياتها ورقدت هناك.

* رئيس مركز السبيل – القدس

النصوص الإنجيلية المتعلقة بحياة القديسة مريم العذراء:

١. يبدأ البشير لوقا إنجيله بقصة زكريا واليصابات وولادة ابنهما يوحنا الذي عُرف فيما بعد بيوحنا المعمدان. وبحسب النص الإنجيلي فإن زكريا كان كاهناً يقوم بنوبته في الهيكل عندما ظهر له الملاك جبرائيل وبشَّره بولادة ابنه يوحنا.
فقالَ زَكَرِيَّا لِلمَلاكِ كيفَ يكونُ هذا وأنا شَيخٌ كَبيرٌ وامرأتي عَجوزٌ فأجابَهُ المَلاكُ أنا جبرائيلُ القائمُ في حضرَةِ اللهِ، وهوَ أرسَلَني لأُكلِّمَكَ وأحملَ إليكَ هذهِ البُشرى. لكنَّكَ ستُصابُ بالخَرَسِ، فلا تَقدِرُ على الكلامِ إلى اليومِ الذي يَحدُثُ فيهِ ذلِكَ، لأنَّكَ ما آمنتَ بِكلامي، وكلامي سيَتِمُّ في حينِهِ. (لوقا ١: ١٨-٢٠)

بعد أن أنهى زكريا نوبته رجع إلى بيته (يخبرنا التقليد أنه كان يسكن في عين كارم)
ويَعدَ مُدَّةٍ حبلَتِ امرأتُهُ أليصاباتُ، فأخفَت أمرَها خَمسةَ أشهُرٍ. وكانَت تَقولُ هذا ما أعطاني الرَّبُّ يومَ نظَرَ إليَّ ليُزيلَ عَنِّي العارَ مِنْ بَينِ الناسِ. (لوقا١: ٢٤-٢٥)
٢. (لوقا ١:٢٦ - ٢٨) بشارة مريم العذراء بميلاد يسوع :
وحينَ كانَت أليصاباتُ في شَهرِها السّادسِ، أرسَلَ اللهُ المَلاكَ جبرائيلَ إلى بَلدَةٍ في الجَليلِ اسمُها الناصِرَةُ، إلى عذراءَ اسمُها مَريَمُ، كانَت مَخطوبَةً لِرَجُلٍ مِنْ بَيتِ داودَ اسمُهُ يوسُفُ.

فدخَلَ إليها المَلاكُ وقالَ لها السَّلامُ علَيكِ، يا مَنْ أنعمَ اللهُ علَيها. الرَّبُّ مَعكِ. فاضطرَبَت مَريَمُ لِكلامِ المَلاكِ وقالَت في نَفسِها ما مَعنى هذهِ التَّحيةِ فقالَ لها المَلاكُ لا تَخافي يا مَريَمُ، نِلتِ حُظوةً عِندَ اللهِ فستَحبَلينَ وتَلِدينَ ابنًا تُسَمّينَهُ يَسوعَ. فيكونُ عظيمًا وابنَ اللهِ العَليِّ يُدعى، ويُعطيهِ الرَّبُّ الإلهُ عرشَ أبيهِ داودَ، ويَملِكُ على بَيتِ يَعقوبَ إلى الأبدِ، ولا يكونُ لمُلْكِهِ نِهايةٌ فقالَت مَريَمُ لِلمَلاكِ كيفَ يكونُ هذا وأنا عَذراءُ لا أعرِفُ رَجُلاً فأجابَها المَلاكُ الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ علَيكِ، وقُدرَةُ العَليِّ تُظَلِّلُكِ، لذلِكَ فالقدُّوسُ الذي يولَدُ مِنكِ يُدعى ابنَ اللهِ. ها قَريبَتُكِ أليصاباتُ حُبلى بابنٍ في شَيخوخَتِها، وهذا هوَ شَهرُها السّادِسُ، وهيَ التي دَعاها الناسُ عاقِرًا. فما مِنْ شيءٍ غَيرَ مُمكنٍ عِندَ اللهِ. فقالَت مَريَمُ أنا خادِمَةُ الرَّبِّ فَلْيَكُنْ لي كَما تَقولُ.(لوقا ١: ٢٨-٣٨)

فأسرعت مريم وذهبت لزيارة قريبتها اليصابات في عين كارم، وعندما دخلت البيت سلّمت على اليصابات:
فلمَّا سَمِعَت أليصاباتُ سلامَ مَريَمَ، تحرَّكَ الجَنينُ في بَطنِها، وامتلأَت أليصاباتُ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ، فهَتفَت بِأعلى صَوتِها مُباركَةٌ أنتِ في النِّساءِ ومُبارَكٌ ابنُكِ ثَمرةُ بَطنِكِ مَنْ أنا حتى تَجيءَ إليَّ أُمُّ رَبّي ما إنْ سَمِعتُ صوتَ سَلامِكِ حتى تَحرَّكَ الجَنينُ مِنَ الفَرَحِ في بَطني. هَنيئًا لَكِ، يا مَنْ آمَنتْ بأنَّ ما جاءَها مِنْ عِندِ الرَّبِّ سيَتِمُّ. (لوقا ١: ٤١- ٤٥)
فما كان في وسع مريم إلا أن ترفع صوتها وتقدم نشيد شكر لله قائلة:
فقالَت مَريَمُ تُعَظِّمُ نَفسي الرَّبَّ وتَبتَهِجُ رُوحي بِاللهِ مُخَلِّصي لأنَّهُ نظَرَ إليَّ، أنا خادِمَتُهُ الوضيعةُ جميعُ الأجيالِ ستُهَنِّئُني لأنَّ القَديرَ صنَعَ لي عظائِمَ. قُدّوسٌ اسمُهُ ورَحمتُهُ مِنْ جيلٍ إلى جيلٍ لِلذينَ يَخافونَهُ. أظهرَ شِدَّةَ ساعِدِهِ فبَدَّدَ المُتكبّرينَ في قُلوبِهِم. أنزَلَ الجبابِرَةَ عَنْ عُروشِهِم ورفَعَ المُتَّضِعينَ. أشبَعَ الجياعَ مِنْ خيراتِهِ وصرَفَ الأغنياءَ فارِغينَ. أعانَ عَبدَهُ (يعقوب) فتَذكَّرَ رَحمتَهُ، كما وعَدَ آباءَنا، لإبراهيمَ ونَسلِهِ إلى الأبدِ.(لوقا ١ : ٤٦-٥٥)
في هذا النشيد عبَّرت مريم العذراء عن قدرة الله الذي يصنع العجائب والثورات ويغيِّر الأوضاع ويقلبها رأساً على عقب. وذكرت ثلاث ثورات:

الأولى ثورة أخلاقية ودينية: فالمستكبرون والمتفاخرون والأنانيون والذين يحسبون أنفسهم أعلى وأفضل من الآخرين سوف يتبدّدون وسوف يزولون.

الثانية ثورة سياسية: يُنزّل الله الجبابرة عن عروشهم ويرفع المُتضعين. فالذين شمخوا وأصبحوا طغاة في الأرض وظلموا وبطشوا بالآخرين هم الخاسرون وسيسقطون عن عروشهم ويحل محلهم المتواضعون.

الثالثة ثورة اقتصادية: فيها تنقلب الأوضاع الاقتصادية في المجتمع فالأغنياء يذهبون وينصرفون فارغين بينما الجياع والفقراء يشبعون ويمتلئون.

فبقيت مريم عند اليصابات ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها في الناصرة.

٣. الملاك جبرائيل ويوسف النجار: يخبرنا البشير متى في إنجيله انه عندما تبيّن ليوسف النجار أن مريم حبلى قرّر أن يتخلّى عنها سراً فظهر له ملاك الرب في حلم وقال له: **يا يوسفُ ابنَ داودَ، لا تَخَفْ أنْ تأخُذَ مَرْيمَ امرأةً لكَ. فَهِيَ حُبْلى مِنَ الرّوحِ القُدُسِ، وستَلِدُ ابناً تُسمّيهِ يَسوعَ، لأنَّهُ يُخَلِّصُ شعْبَهُ مِنْ خَطاياهُمْ حَدَثَ هذا كُلُّه لِيَتِمَّ ما قالَ الرَّبُّ بِلِسانِ النَّبيِّ سَتَحْبَلُ العَذْراءُ، فَتَلِدُ ابْناً يُدْعى عِمّانوئيلَ، أي اللهُ مَعَنا.** (متى ١: ٢٠- ٢٣)
فلما استيقظ يوسف فعل كما أمره ملاك الرب.

٤. ميلاد يسوع : يذكر البشير لوقا في إنجيله أن القيصر أوغسطس أمر بإحصاء سكان الإمبراطورية الرومانية. فاضطر يوسف أن يسافر مع مريم إلى بيت لحم ليُحصى في مدينة عشيرته. وبينما هما في بيت لحم جاء مريم المخاض فولدت ابنها يسوع في مذود لانهما لم يجدا مكاناً آخر في البلدة.

٥. زيارة الرعاة: يتابع البشير لوقا سرد ما حدث ويخبرنا ان ملاك الرب ظهر لمجموعة من الرعاة كانوا يحرسون رعيتهم ليلاً وبشّرهم بولادة المسيح المُنتظر.

وكانَ في تِلكَ الناحيةِ رُعاةٌ يَبيتونَ في البرّيَّةِ، يتناوَبونَ السَّهَرَ في الليلِ على رعِيَّتِهم. فظهَرَ مَلاكُ الرَّبِّ لهُم، وأضاءَ مجْدُ الرَّبِّ حَولَهُم فَخافوا خَوفًا شَديدًا. **فقالَ لهُمُ المَلاكُ لا تَخافوا ها أنا أُبَشِّرُكُم بِخَبرٍ عظيمٍ يَفرَحُ لَه جميعُ الشَّعبِ وُلِدَ لكُمُ اليومَ في مدينةِ داودَ مُخَلِّصٌ هوَ المَسيحُ الرَّبُّ. وإليكُم هذِهِ العلامَةُ تَجِدونَ طِفلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا في مِذْوَدٍ.** وظَهَرَ معَ المَلاكِ بَغتَةً جُمهورٌ مِنْ جُندِ السَّماءِ، يُسبِّحونَ اللهَ ويقولونَ المَجدُ للهِ في العُلى، وفي الأرضِ السَّلامُ لِلحائزينَ رِضاهُ. (لوقا ٢: ٨- ١٤)

فجاء الرعاة لزيارة المولود الجديد وحدّثوا بما اخبرهم الملاك. يقول النص الإنجيلي: « **فكانَ كُلُّ مَنْ سَمِعَ يتَعَجَّبُ مِنْ كلامِهِم. وحَفِظَت مَريمُ هذا كُلَّهُ وتأمَّلتْهُ في قَلبِها** ». (لوقا ٢ : ١٨-١٩)

٦. زيارة المجوس:
يسرد لنا إنجيل متى قصة مجيء المجوس من المشرق إلى القدس تابعين نجماً عجيباً ليهديهم إلى مولود جديد سيصبح ملكاً عظيماً. وعندما سمع الملك هيرودس بمجيئهم دعاهم

إليه وبعد أن استفسر من الرئاسة الدينية عن ولادة المسيح اخبرهم انه بحسب النبوءات سيولد المسيح في بيت لحم. وطلب إليهم أن يذهبوا ويفتشوا عن الصبي وبعد أن يقدموا واجب التكريم له أن يرجعوا إلى الملك ويخبروه.

فلمَّا سَمِعوا كلامَ المَلِكِ انْصَرَفوا. وبَينَما هُمْ في الطَّريقِ إذا النَّجْمُ الذي رَأَوْهُ في المَشْرِقِ، يَتَقَدَّمُهُمْ حتى بَلَغَ المكانَ الذي فيهِ الطِفلُ فوَقَفَ فَوْقَه. فلمَّا رأوا النَّجْمَ فَرِحوا فَرَحًا عَظيمًا جِدًا، ودَخَلوا البَيتَ فوَجَدوا الطِّفْلَ معَ أُمِّهِ مَرْيَمَ. فَرَكَعوا وسَجَدوا لَه، ثُمَّ فَتَحوا أَكْياسَهُمْ وأَهْدَوْا إِلَيهِ ذَهَبًا وبَخورًا ومُرًّا. وأَنْذَرَهُمُ اللهُ في الحُلُمِ أَنْ لا يَرجِعوا إلى هيرودُسَ، فَأَخَذوا طَريقًا آخَرَ إلى بِلادِهِم. (متى ٢: ٩ – ١٢)

٧. الهروب إلى مصر:
وبَعدَما انْصَرَفَ المَجوسُ، ظَهَرَ مَلاكُ الرَّبِّ لِيوسفَ في الحُلُمِ وقالَ لَه قُمْ، خُذِ الطِفْلَ وأُمَّهُ واهرِبْ إلى مِصرَ وأَقِمْ فيها، حتى أَقولَ لكَ متى تَعودُ، لأَنَّ هيرودُسَ سيَبحَثُ عَنِ الطِّفْلِ لِيَقتُلَهُ. فقامَ يوسفُ وأَخذَ الطِّفْلَ وأُمَّهُ لَيلاً ورحَلَ إلى مِصرَ. فأَقامَ فيها إلى أَنْ ماتَ هيرودُسُ، لِيتِمَّ ما قالَ الربُّ بِلسانِ النبيِّ مِنْ مِصرَ دَعَوْتُ ابني. فَلَمَّا رَأى هيرودُسُ أَنَّ المَجوسَ استهزَأوا بِه، غَضِبَ جِدًا وأَمرَ بِقَتلِ كُلِّ طِفْلٍ في بَيتَ لحمَ وجِوارِها، مِن ابنِ سَنَتَينِ فَما دونَ ذلِكَ.... وهكذا حدث. فرحلت العائلة المقدسة إلى مصر وبقيت هناك إلى أن مات هيرودس الملك ثم رجعوا إلى الناصرة وسكنوا فيها. (متى ٢: ١٣–٢٣)

٨. زيارة القدس في عيد الفصح: يخبرنا البشير لوقا عن زيارة قامت بها العائلة المُقدسة– يوسف والعذراء مريم ويسوع إلى القدس بمناسبة عيد الفصح. وبعد انتهاء العيد وأثناء رجوعهم إلى الناصرة بقي يسوع في القدس. وعندما لم يجدوه مع المسافرين رجعت مريم العذراء ويوسف يفتشان عنه فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل جالساً مع معلمي الشريعة يناقشهم ويجادلهم – فقالت له أمه لقد تعبنا في البحث عنك.

فأجابَهُما ولِماذا بَحَثتُما عنّي أما تَعرفانِ أنَّهُ يَجبُ أنْ أكونَ في بَيتِ أبي. فما فَهِما معنى كلامِهِ. ورجَعَ يَسوعُ معَهُما إلى الناصِرَةِ، وكانَ مُطيعًا لهُما. وحَفِظَت أُمُّهُ هذا كُلَّهُ في قَلبِها. وكانَ يَسوعُ يَنمو في القامَةِ والحِكمَةِ والنِّعمَةِ عِندَ اللهِ والناسِ. (لوقا ٢: ٤٩–٥٢)

٩. العذراء مريم مع النساء عند أقدام الصليب:
يذكر البشير يوحنا أن مريم أم يسوع كانت مع مجموعة من النساء واقفات يتابعن أحداث الصلب:

وهُناكَ، عِندَ صليبِ يَسوعَ، وقَفَت أُمُّهُ، وأُختُ أُمِّهِ مَريَمُ زَوجَةُ كلوبا، ومَريَمُ المَجدَليَّةُ. ورأى يَسوعُ أُمَّهُ والى جانِبِها التِّلميذُ الحبيبُ إِلَيهِ، فقالَ لأُمِّهِ يا امرأَةُ، هذا ابنُكِ وقالَ لِلتلميذِ هذِهِ أُمُّكَ. فأَخَذَها التِّلميذُ إلى بَيتِه مِنْ تِلكَ السَّاعَةِ. (يوحنا ١٩: ٢٥– ٢٧)

١٠. مع الكنيسة الأولى: ذكُرت مريم العذراء لآخر مرّة في العهد الجديد عندما كانت مع تلاميذ المسيح وأتباعه وهم مجموعة قُدِّر عددها بمائة وعشرين شخصاً كانوا مجتمعين في علية في القدس. يقول النص « **وكانوا يُواظِبونَ كُلُّهُم على الصَّلاةِ بِقَلبٍ واحِدٍ، معَ بَعضِ النساءِ ومَريَمَ أُمِّ يَسوعَ ....** » (أعمال الرسل ١: ١٤)

هذا هو النص الأخير الواضح في العهد الجديد الذي يشير إلى مريم العذراء مجتمعة مع الكنيسة الأولى – من رجال ونساء – فيما كانوا يواظبون على الصلاة وينتظرون حلول الروح القدس لينطلقوا في نشر رسالة ملكوت الله إلى العالم أجمع.

هذه باختصار الشواهد الرئيسية من النصوص الإنجيلية عن القديسة مريم العذراء التي نجدها في العهد الجديد من الكتاب المقدس. وكما ذكرت سابقاً فهذه النصوص تُشكّل الأساس والمصدر الرئيس الذي اعتمدته الكنيسة الأولى. ومن هذا الأساس تطور كم هائل من التقليد والتراث حول القديسة مريم العذراء.

تُبرز النصوص الإنجيلية مريم العذراء كمثال أسمى للطاعة والثقة بالله مع محبتها وخضوعها لمشيئته تعالى وقصده في ميلاد السيد يسوع المسيح وما حققه في حياته وخدمته ورسالته. والسؤال الأهم بالنسبة لنا اليوم: هل يمكن للتكريم الذي نقدمه لمريم العذراء كأم السيد المسيح، والمنزلة السامية التي يضعها فيها القرآن الكريم والتراث الإسلامي، أن يساهما في تقريب المسيحيين والمسلمين وزيادة التفاهم والتسامح بينهم؟ وهل يؤدي هذا إلى إزالة التعصب والتطرف بين أبناء الديانتين ويزيد الاحترام وقبول كل طرف للآخر ويُقوّي أواصر التعاون والأخوّة بينهم؟

x x x

نشيد مريم: إنجيل لوقا ١ : ٤٦–٥٥

«٤٦ فقالت مريم تعظم الرب ٤٧ وتبتهج روحي بالله مخلصي ٤٨ لانه نظر إلي، أنا خادمته الوضيعة جميع الأجيال ستهنئني ٤٩ لأن القدير صنع لي عظائم. قدوس اسمه ٥٠ ورحمته من جيل إلى جيل للذين يخافونه. ٥١ أظهر شدة ساعوده فبدد المتكبرين في قلوبهم . ٥٢ أنزل الجبابرة عن عروشهم ورفع المتضعين. ٥٣ أشبع الجياع من خيراته وصرف الأغنياء فارغين. ٥٤ أعان عبده إسرائيل فتذكر رحمته، ٥٥ كما وعد اباءنا، لإبراهيم ونسله إلى الأبد.»

الصديقة مريم العذراء
في التراث المسيحي والعقيدة الإسلامية

د. الشيخ محمد سليم محمد علي*

أولا: نسب مريم العذراء

أقام الله الحياة البشرية على أربعة أشخاص هم: آدم ونوح وإبراهيم وعمرآن، قال الله تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)[1] فمن ذراري هؤلاء الأربعة الكرام، اصطفى الله عز وجل من يتبع شرعه ويلازم طاعته[2] وآل عمرآن هم: عمرآن بن ماثان، أبو مريم، وعيسى –عليه الصلاة والسلام–[3]

ومريم هي أم عيسى، وهي ابنة عمرآن بن ماثان، وأمها «حنة» بنت فاقود بن قبيل، وقيل: فاقوذ – بالدال–، وهي جدة عيسى – عليه الصلاة والسلام –.[4]

وأما عمرآن أبو مريم، فليس هو أبو موسى وهارون، بل هو رجل صالح من بني إسرائيل، وهو من سلالة داود –عليه الصلاة والسلام –، قال ابن كثير: «ولا خلاف أنها – أي مريم – من سلالة داود – عليه السلام –، وكان أبوها عمرآن صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها « حنة » بنت فاقود من العابدات»[5]

وكان زكريا زوج أخت مريم « أشياع » هو نبي ذلك الزمان[6] وأما « هارون » الذي ورد ذكره في القرآن الكريم على لسان قوم مريم حين ولدت عيسى – عليه السلام –، وجاءت به تحمله (يا أخت هارون)[7] فهو ليس هارون أخي موسى – عليهما السلام – وإنما قالوا لها (يا أخت هارون) تشبيها لها بعبادة رجل في زمانها يدعى هارون، أو تشبيها بهارون أخي موسى في العبادة، وقيل: كان لها أخ نبي اسمه هارون، وكان مشهورا بالدين والصلاح والخير[8]، ولهذا قالوا لها (ما كان أبوك امرئ سوء وما كانت أمك بغيا)[9]، أي لست من بيت هذه شيمتهم أو سجيتهم، لا أخوك ولا أمك ولا أبوك[10]، ونسبتها إلى هارون في مخاطبتها هو للتوبيخ لها[11]، واستهجان لما كان من حملها وولادتها، قال ابن كثير: (وأخطأ محمد بن كعب القرظبي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسبا، فإن بينهما من الدهور ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع)[12]، ويؤكد هذا ما رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقال: إنكم تقرأون « يا أخت هارون » وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سألته عن ذلك، فقال: (إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)[13].

ثانيا: الحمل بمريم العذراء

نذرت « حنة » زوجة عمرآن بن ماثان حملها، قال الله تعالى: (إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)[14].

---

* خطيب المسجد الأقصى المبارك/ استاذ الفقه المقارن– جامعة القدس

وسبب نذرها هذا، أنها كانت كبيرة لا تلد، وكانوا أهل بيت من الله بمكان، وأنها كانت تحت شجرة، فبصرت بطائر يزق فرخا، فتحركت نفسها لذلك، ودعت ربها أن يهب لها ولدا، ونذرت إن ولدت أن تجعل ولدها محررا، أي: عتيقا خالصا لله تعالى، خادما للمسجد، حبيسا عليها، مفرغا لعبادة الله تعالى، وكان ذلك جائزا في شريعتهم، وكان على أولادهم أن يطيعوهم[١٥] ، وقد ورد في رواية أنها كانت عاقرا لا تلد، وكانت تغبط النساء بالأولاد، فقالت: «اللهم إن لك علي نذرا إن رزقتني ولدا، أتصدق به على بيت المقدس ليكون من سدنته»[١٦]، فتقبل الله منها نذرها، وحملت بمريم – عليها السلام –

ثالثا: ولادة « حنة » لمريم

وقص علينا القرآن الكريم ولادة « حنة » لمريم، وما قالت عند ولادتها لها، فقال الله عز وجل: (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)[١٧]

ولما كانت العادة في ذلك الزمان، أنهم كانوا يحررون الذكور دون الإناث، خافت « حنة « أن نذرها لم يقع الموقع الذي يعتد به فقالت (وإني وضعتها أنثى)، معتذرة من إطلاقها النذر المتقدم.[١٨]

وقد ذكر المفسرون أن « حنة » أم مريم قالت (وليس الذكر كالأنثى) لسببين هما :

الأول: أن الولد مفضل على الأنثى لوجوه وهي:
أولا: لأن في شرعهم لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث

ثانيا: لأن الذكر يكون منه الاستمرار بخدمة موضع العبادة، ولا يصح هذا من الأنثى لما يعتريها من حيض وسائر عوارض النسوان

ثالثا: لأن الذكر لقوته وشدته يصلح للخدمة أكثر من الأنثى

رابعا: لأن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس، وليس كالأنثى.

خامسا: لأن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى

الثاني: أن المقصود من كلامها ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت: الذكر هو مطلوبي، وهذه الأنثى موهوبة لله تعالى، وليس الذكر الذي هو مطلوبي، كالأنثى التي هي موهوبة، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله، عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد، خير مما يريده العبد لنفسه[١٩]

رابعا: إطلاق اسم « مريم » على المولودة المنذورة

وذكر لنا القرآن الكريم أن « حنة » زوجة عمرآن بن ماثان، أطلقت على مولودتها التي نذرتها لله اسم مريم، وهو اسم يتناسب مع حقيقة النذر، فمريم كانت في لغتهم تعني: العابدة أو خادم الرب، ولعل الغرض من عرض تسميتها على الله عالم الغيوب، هو التقرب إليه تعالى، واستدعاء العصمة لها.[٢٠]

خامسا: حضانة مريم وكفالتها

وأما الذي حضن مريم وكفلها بعد ولادتها، فهو زكريا – عليه السلام – قال الله تعالى (وكفلها زكريا)[٢١]، أي: ضمها إليه، والمعنى: ألزمه كفالتها، وقدر ذلك عليه ويسره له[٢٢]، وأخبرنا القرآن الكريم يتنافس زكريا مع بني إسرائيل على كفالتها، «فحنة» زوجة عمرآن، حين ولدت مريم، لفتها في خروقها ثم خرجت إلى المسجد، فسلمتها إلى العبّاد الذين هم مقيمون فيه، وكانت ابنة إمامهم، وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها، قال ابن كثير : (والظاهر أنها سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها[٢٣] فلما دفعتها إليهم، تنازعوا في أيهم يكفلها,وكان زكريا نبيهم في ذلك الزمان,فأراد كفالتها فنازعوه فيها,فاقترعوا عليها,فخرجت قرعته غالبة لهم,وكان هذا من تقدير الله عز وجل,لأن زوجته زكريا خالة مريم,والخالة بمنزلة الأم[٢٤].

سادساً: صفات وميزات مريم عليها السلام

يمكن إجمال مجموعة من صفات وميزات مريم عليها السلام وهي :

الأولى: أن الله تعالى حفظها من نخسة – طعنة – الشيطان عند ولادتها، فالشيطان ينخس في جنب جميع ولد آدم حين يولد، غير مريم وابنها عيسى – عليهما السلام –، فإن الله حفظهما من تلك النخسة، وجعل بينهما وبينها حجاب، ويؤيد ذا ما صح عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – في رواية مسلم عن أبي هريرة، حيث قال:[٢٥] (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، إلا ابن مريم وأمه، ثم قال أبو هريرة بعد أن روى قول النبي صلى الله عليه وسلم « إقرأوا إن شئتم » (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)، وكما حفظ الله مريم وابنها من طعنة الشيطان أثناء الولادة، فقد حفظهما أثناء حياتهما من إغوائه وشروره.[٢٦]

الثانية: أن الله تعالى سلك بمريم طريق السعداء، فقال سبحانه في ذلك (فتقبلها ربها بقبول حسن)[٢٧] والتقبل هو: التكفل في تربيتها والقيام بشأنها، وأنه –سبحانه – ما عذبها ساعة قط في ليل أو نهار.[٢٨]

الثالثة: أن الله تعالى سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان، وهذا هو معنى قوله عز وجل (وأنبتها نباتا حسنا).[٢٩]

الرابعة: أن الله تعالى، أكرمها ببركات وكرامات حصلت لها، أثناء كفالة زكريا لها، فكان إذا دخل عليها، وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وحين كان زكريا يسألها: من أين لك هذا ؟ كانت تجيب أنه من عند الله تعالى[٣٠]، (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال: يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)[٣١]

الخامسة: أن الله عز وجل طهرها من الكفر وسائر الأدناس، وهو معنى قوله تعالى (وطهرك)[٣٢]، أي: طهرك من الأخلاق الرذيلة، وأعطاها الصفات الجميلة [٣٣]

السادسة: أن الله اصطفى مريم واجتباها، لإيجاد ولد منها من غير أب، وبشرت بأن يكون نبيا شريفا، يكلم الناس في المهد في صغره، يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، ويكلمهم في كهولته ويدعوهم كذلك، قال الله تعالى: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين)[٣٤]

السابعة: أن الله تعالى اصطفاها على نساء العالمين، وهذا الاصطفاء بهذا المعنى، يحتمل عدة معان وهي :
الأول: أن يكون المراد عالمي زمانها، كقول الله تعالى لموسى (إني اصطفيتك على الناس)[٣٥]، وكقوله عز وجل عن بني إسرائيل (ولقد اخترناهم على علم على العالمين)[٣٦].
ومعلوم أن إبراهيم أفضل من موسى، وأن محمدا أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة، أفضل من سائر الأمم قبلها، وأكثر عددا، وأفضل علما، وأزكى عملا من بني إسرائيل وغيرهم[٣٧]

الثاني: ويحتمل أن يكون قوله (واصطفاك على نساء العالمين) محفوظ العموم، فتكون أفضل نساء الدنيا ممن كان قبلها، أو وجد بعدها [٣٨]
وقد وردت أحاديث نبوية صحيحة، تخبر بفضل مريم ومكانتها، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسيه امرأة فرعون ،وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[٣٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: (خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)[٤٠] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا: (سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم فاطمة وخديجة)[٤١]
قال القرطبي: « فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة[٤٢]

الثامنة: أن الله اختار مريم لعبادته، واصطفاها لذلك، وتكرار الاصطفاء في قوله عز وجل (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) ليدل على أن الاصطفاء الأول لعبادته، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى[٤٣]، وقد ذكرت الآية أمر الله لها بالعبادة واستقامتها عليها، فقالت: (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)[٤٤].
ولما كفلها زكريا، اتخذ لها في المسجد مكانا شريفا لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، حتى صارت يضرب بها المثل في بني إسرائيل بعبادتها، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة، كوجود فاكهة الشتاء في الصيف، ووجود فاكهة الصيف في الشتاء عندها[٤٥]

التاسعة: أن الله عز وجل اختص مريم بما لم يؤته أحدا من النساء، وذلك أن روح القدس ظهر لها، وكلمها، ونفخ في درعها[٤٦]

العاشرة: أنها طاهرة وعذراء وبتول وليس كما زعم اليهود، حين اتهموها بالزنى، وقد ذمهم الله تعالى على مقالة السوء هذه في حق مريم الطاهرة العفيفة، وحكم عليهم بالكفر، فقال عز وجل: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما)[٤٧] ، وقد أثنى الله عليها بقوله: (ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها وصدقت بكلمات ربها ورسله وكانت من القانتين)[٤٨] .
قال ابن كثير: « مريم هي أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها، وممن كان بعدها »[٤٩]

الحادية عشرة: وقد شهد الله لها بالصديقية، لكثرة تصديقها بآيات ربها، ولتصديقها ولدها فيما أخبرها به[٥٠]، ولم تسأل الله تعالى آية عندما بشرت بعيسى – عليه السلام – ،وقد شهد الله لها بالقنوت، مع الشهادة لها بالصديقية، وهي منازل عليا، لمريم العذراء، تستحق الثناء

عليها لاتصافها بها، قال الله تعالى: (وكانت من القانتين)، قال القرطبي: « مريم لم تنل شهادة الله لها في التنزيل بالصديقية والتصديق بالكلمات إلا لمرتبة قريبة دانية» [٥١]
الثانية عشرة: ومن ميزات مريم، أن أمها حملت بها وهي كبيرة لا تلد، فكان حملها آية دالة على قدرة الله عز وجل .

الثالثة عشرة: أن حمل مريم بعيسى كان من غير نكاح ولا سفاح، وهذه آية أخرى دالة على قدرة الله تعالى .

الرابعة عشرة: أن الله تعالى، أكرمها بكرامات أثناء حملها بعيسى وأثناء ولادتها له، وهذه كلها كرامات دالة على مكانتها عند ربها، وعلى قدرة الله عز وجل

سابعا: مريم الصدّيقة
أثنى الله على مريم، وشهد لها بالصديقية – كما أسلفنا – ولكن: هل هذه المنزلة لمريم رفعتها إلى منزلة النبوة فهي نبية، أم أنها صدّيقة لم تصل إلى مرتبة النبوة ؟
في المسألة قولان :

القول الأول: بعض العلماء منهم القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، زعم أن مريم نبيه من الأنبياء، ورجح هذا القول، ومن أدلته :
الدليل الأول: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمرآن .. الخ الحديث الشريف)، قال القرطبي: قال علماؤنا: الكمال هو التناهي التمام .. والكمال المطلق إنما هو لله تعالى خاصة، ولا شك أن أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثم الذين يليهم الأولياء من الصدّيقين والشهداء والصالحين»[٥٢].
الدليل الثاني: أن الله تعالى أوحى إليها بوساطة الملك، كما أوحى إلى سائر النبيين[٥٣] قال القرطبي عن مريم: « فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والإخبار والبشارة، كما بلغت سائر الأنبياء، فهي إذن نبية، والنبي أفضل من الولي، فهي أفضل من كل النساء الأولين والآخرين مطلقا »[٥٤]

القول الثاني: جمهور العلماء: أن مريم ليست نبية، فأعلى مقامات مريم ما قاله الله تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة)[٥٥]، قال ابن كثير: « فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ممن كان قبلها وممن كان بعدها» [٥٦]، وقال ابن كثير – أيضا –: «وقد ذهب بعض العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة: سارة، وأم موسى، ومريم – عليهن السلام – والذي عليه الجمهور أنهن صدّيقات »[٥٧]
والصحيح ما عليه الجمهور، أن النبوة خاصة بالرجال دون النساء، وأنها لا تكون للنساء أبدا، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة، فقال سبحانه: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[٥٨]
وأما الزعم بأن الله أوحى لأم موسى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)[٥٩] ، فيعني الإلهام، وليس إنزال الملك، كما أخبر –سبحانه – بأنه أوحى الى النحل (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا)[٦٠]، ففي مثل هذه الآيات: لا يصح أن نقول: أن النحل أو غيره قد نبأه الله تعالى.[٦١]

ثامنا: حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام

(١). البشارة بعيسى عليه السلام

بشرت الملائكة الكرام مريم ابنة عمران، بأنها ستحمل بعيسى، فهو كلمة الله عز وجل، فقال سبحانه: (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم)[٦٢] والمسيح لقب ومعناه: الصديق، والممسوح بالبركة، والممسوح من الذنوب[٦٣]. والبشارة تكون عادة بالخبر المفرح، وما أجملها من بشارة، لأنها إخبار عن نبي جديد، يدعو إلى التوحيد، ويتمم رسالة من سبقه من الرسل والأنبياء

(٢). تعجب مريم حين جاءتها البشارة بعيسى

واستغربت مريم حين جاءتها البشارة بالحمل بعيسى – عليه السلام –، فقالت: (أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر)[٦٤]. وفي الآية إشارة إلى أن الملائكة أخبرتها أن عيسى سيولد من غير أب، ولهذا قالت (ولم يمسسني بشر)، والمس هنا يشمل الحلال والحرام، أعني: النكاح والسفاح، فهي ليست ذات زوج، وهي كما أخبرت عن نفسها الطاهرة العفيفة فقالت (ولم أك بغيا) وليس في استغراب مريم ما يدل على استبعادها قدرة الله عز وجل حين قالت (أنى يكون لي ولد)، لكنها أرادة معرفة: كيف يكون هذا الولد ؟
أم قبيل زوج في المستقبل ؟
أم يخلقه الله ابتداء ؟
ولما قال لها جبريل – عليه السلام – (كذلك قال ربك هو علي هين)[٦٥]، علمت أنه سيكون ابتداء من غير أب.

(٣). طريقة الحمل بعيسى عليه الصلاة والسلام

كانت مريم تخرج من المسجد زمن حيضها، وعند الحاجة الضرورية، فبينما هي ذات يوم قد خرجت لبعض شؤونها (وانتبذت) أي: انفردت وحدها [٦٦] شرقي المسجد الأقصى، إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرا سويا)[٦٧] ، فلما رأته قالت: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا)[٦٨]، فهي تعلم أن التقي ذو نهية، وهذا يرد زعم من قال: أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه « تقي »، قال ابن كثير : « فإن هذا القول باطل بلا دليل، وهو من أسخف الأقوال[٦٩] »، وحين خاطب الملك مريم قائلا: (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا)[٧٠] ونفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها، وهذا المعنى هو الذي يدل عليه سياق الآية (فنفخنا فيه) أي: إن النفخة ولجت في فرجها حين نفخ في جيب درعها وليس كما قالت بعض الروايات إنه نفخ في فمها[٧١].

(٤). موقف مريم بعد الحمل

أخبرت الآيات القرآنية الكريمة، أن مريم عليها السلام، لما حملت، ضاقت بحملها ذرعا، وعلمت أن كثيرا من الناس، سيكون منهم كلام في حقها، قال الله تعالى: (فانتبذت به مكانا قصيا)[٧٢]، أي: تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس: إلى أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم وإنما بعدت من تعيير قومها إياها بالولادة من غير زوج[٧٣]

(٥). المخاض والولادة

لما انتبذت مريم بعد الحمل (فأجاءها المخاض)، أي: اضطرها الطلق وشدة الولادة وأوجاعها (إلى جذع النخلة)، كأنها طلبت شيئا تستند إليه، وتتعلق به، كما تتعلق الحامل

لشدة وجع الطلق . والجذع: هو ساق النخلة اليابسة في الصحراء الذي لا سعف عليه ولا غصن، ولهذا لم يقل (إلى النخلة)، و(قالت يا ليتني مت قبل هذا)، تمنت الموت من جهة الدين لوجوه:

أحدهما: أنها خافت أن يظن بها الشر وتعيّر، فيفتنها ذلك

الثاني: لئلا يقع قوم بسببها في البهتان، والنسبة إلى الزنى، وذلك مهلك[٧٤]

الثالث: لأنها لم تر في قومها رشيدا ذا فراسة، ينزهها عن السوء [٧٥]

(٦). مدة الحمل

اختلفت أقوال العلماء في مدة حمل مريم بعيسى عليه السلام :

وقال ابن عباس :ما هو إلا أن حملت، فوضعت في الحال، وهذا هو الظاهر، لأن الله ذكر الانتباذ عقب الحمل .[٧٦]

ويظهر لي – والله أعلم – أن حمل مريم بعيسى كان طبيعيا، كباقي النساء، وأنه تسعة أشهر، وذلك:

أولا: لأنه لو كان خلاف ذلك لذكر[٧٧]

ثانيا: لأنه لم يرد في الأحاديث الصحيحة بيان لمدة الحمل .

ثالثا: ولو كانت مدة الحمل غريبة، لكانت آية دالة على قدرة الله وإعجازه، ولذكرها الله للدلالة على قدرته وعجيب خلقه وصنعه

رابعا: ورد ابن كثير على من قال إن الفاء في الآية تبين أنها حملت فولدت لساعات، حيث قال الله تعالى (فحملته .. فانتبذت ... فأجاءها ...) فقال: « الصحيح أن التعقيب يكون في كل شيء بحسبه، كقوله تعالى (ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما ...الخ الآية)[٧٨] ومعلوم أن بين كل حالين أربعون يوما كما ثبت في الحديث المتفق عليه»[٧٩]

خامسا: أنه شاع وانتشر في بني اسرائيل أنها حامل، وهذا يدل على أن حملها كان كحمل النساء، تسعة أشهر.

سادسا: ولو أنها حملت فولدت لساعتها أو لبضع ساعات، لما اعترض قومها على حملها، ولما أشاروا إليها بأصابع الريبة، لأنهم حينئذ يعلمون أن هذا أمرا خارق للعادة

(٧). معجزة الحمل بعيسى عليه الصلاة والسلام

وخلق عيسى من أم دون أب، معجزة من معجزات الله تعالى، قال تعالى: (إن مثل عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[٨٠]، فآدم خلق من غير أب ولا أم، وعيسى خلق من أم دون أب، والبشر خلقوا من أب وأم، وفي الحديث الشريف: (آدم من كان أبوه ؟ أعجبتم من عيسى ليس له أب ؟ فآدم عليه السلام ليس له أب ولا أم) قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ردا على وفد نجران[٨١]

(٨). براءة مريم وعفتها
من الأدلة على براءة مريم، وأنها كانت محصنة الفرج، وليس كما زعمت اليهود ما يلي :

أولا: أن الله أنطق عيسى في مهده، وهو قريب عهد بالولادة، وهذه معجزة تكفي لوحدها دليلا على إحصان مريم وعفتها، وأن عيسى كلمة الله، قال الشيخ محمد أبو زهرة: (جعل الله دليل البراءة من دليل الاتهام لينتقض الاتهام من أصله، ويأتي على قواعده، ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذي لا يأتيه الريب ليعيد إلى ذاكرتهم ما عرفوه من نسكها وعبادتها، ولذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة)[٨٢]

ثانيا: سيرة مريم الحسنة: فقد عرفت في قومها، بالعابدة، القانتة، الطائعة لربها، القائمة على خدمة البيت المقدس، وأن الله اصطفاها لذلك، وحفظها من كل رذيلة وخلق سيء (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه تمترون)[٨٣]

ثالثا: التعوذ من الملك حين جاءها

رابعا: أنها جاءت بعيسى تحمله، لأنها علمت أن الله سيبرؤها[٨٤]

(٩). الحكمة من خلق عيسى من غير أب

أولا: للدلالة على قدرة الله تعالى وأنه الفاعل المختار

ثانيا: للدلالة على أن الله تعالى لا يتقيد في خلقه بقانون الأسباب والمسببات التي يسير العالم عليها في نظامه الذي أبدعه الله والذي خلقه

ثالثا: إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها وهم اليهود، حيث زعموا أن الإنسان جسم بلا روح[٨٥]

(١٠). موت مريم عليها السلام
مريم بشر، ولدت كما يولد البشر، وقد ماتت كما يموت الناس، وقد أشار الله إلى موت مريم حين قال: (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا)[٨٦] قال القرطبي عند هذه الآية « وقد أمات أمه – يعني عيسى –ولم يتمكن من رفع الموت عنها »[٨٧] وذلك في معرض الرد على ألوهية عيسى – عليه الصلاة والسلام –

x x x

المراجع المستخدمة:

١- سورة آل عمران : ٣٣
٢- ابن كثير، إسماعيل: قصص الأنبياء، دار الفكر، لبنان، ط ا، ١٩٨٣ م، ص: ٦٥٥
٣- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: النكت والعيون ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٨٦
وأبو حيان ، محمد بن يوسف : التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ . وقيل : عمران أبو موسى . المرجعان السابقان
٤- الشوكاني ، محمد بن علي : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم ا لتفسير ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث، ط ، ١٩٩٧ م ، مج ١ ، ج١، ص ٤٩٨
٥- ابن كثير، المرجع السابق، ص ٦٥٥
٦- هذا هو قول الجمهور . المرجع السابق ، نفس الصفحة
٧- سورة مريم : ٢٨
٨- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٧٥ . والماوردي ، المرجع السابق ، مج ٣ ، ج ٣ ، ص ٣٦٨ – ٣١٩ والطبري ، محمد بن جرير : تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ، صلاح الدين الخالدي ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ج ٥ ، ص ٢٣٤
٩- سورة مريم : ٢٨
١٠- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٧٦
١١- ابن عاشور ، محمد الطاهر : التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس ، مج ١٦ ، ص ٩٥
١٢- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٧٦
١٣- صحيح مسلم ، كتاب الأدب (٢١٣٥) باب (١) النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء
١٤- سورة آل عمران : ٣٥
١٥- القرطبي ، محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر ، ١٩٩٥م ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٢ . والبحر المحيط، المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٤٣٨
١٦- البحر المحيط ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٨
١٧- سورة آل عمران : ٣٦
١٨- فتح القدير ، المرجع السابق ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٤٩٩
١٩- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٥٣
٢٠- البحر المحيط ، المرجع السابق ، ج ٢٢ ، ص ٤٣٩ . وفتح القدير ، المرجع السابق ، مج ١ ، ج ١، ص ٤٩٩
٢١- سورة آل عمران : ٣٧
٢٢- القرطبي، المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ١٦
٢٣- المرجع السابق ، ص ٦٥٧
٢٤- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٥٧ – ٦٥٨ .و القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٨٢
٢٥- كتاب الفضائل (٢٣٦٦) باب (١٤ فضائل عيسى عليه السلام)
٢٦- الماوردي ، المرجع السابق ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٨٧
٢٧- سورة آل عمران: ٣٧
٢٨- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٥
٢٩- المرجع السابق ، نفس المجلد والجزء والصفحة
٣٠- المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧
٣١- المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٧ . وابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٥٨ ، والماوردي ، المرجع السابق ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٩٢
٣٢- سورة آل عمران : ٤٢
٣٣- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٦٠
٣٤- سورة آل عمران : ٤٥ – ٤٦

٣٥- سورة الأعراف : ١٤٤
٣٦- سورة الدخان: ٣٢
٣٧- ابن كثير، المرجع السابق ، ص ٦٦٠ . والماوردي ، المرجع السابق ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٣٩٢
٣٨- ابن كثير، المرجع السابق ، ص ٦٦
٣٩- صحيح البخاري (١٣٤٠ – ومسلم (٤) ١٨٨٦)
٤٠- الترمذي، كتاب المناقب (٣٨٧٨) باب (٦٢) فضل خديجة
٤١- الحاكم في المستدرك (٤٨٥٣) (٣) كتاب معرفة الصحابة
٤٢- الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٨ – ٧٩
٤٣- المرجع السابق ، ص ٧٨
٤٤- سورة آل عمران : ٤٣
٤٥- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ،ص ٧٩
٤٦- المرجع السابق ، ص ٧٨
٤٧- سورة النساء : ١٥٦
٤٨- سورة التحريم : ١٢
٤٩- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٦١
٥٠- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٣ ، ج ٦ ، ص ١٨٦
٥١- المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٨٠
٥٢- مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٨
٥٣- المرجع السابق ، ص ٧٨
٥٤- المرجع السابق ، ص ٧٨ – ٧٩
٥٥- سورة المائدة : ٧٥
٥٦- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٦٠ – ٦٦١
٥٧- المرجع السابق ، ص ١٧٦
٥٨- سورة النحل: ٤٣
٥٩- سورة القصص: ٧
٦٠- سورة النحل: ٦٨
٦١- الصابوني ، محمد علي : النبوة والأنبياء ، مطبعة الأمل ، القدس ،ط ٣ ، ٢٠٠١م ، ص ١٠
٦٢- سورة آل عمران : ٤٥
٦٣- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٨٤
٦٤- سورة مريم : ٢٠
٦٥- سورة مريم : ٢١
٦٦- التحرير والتنوير، المرجع السابق، مج ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨٠
٦٧- سورة مريم : ١٧
٦٨- سورة مريم : ١٨
٦٩- ابن كثير، المرجع السابق، ص ٦٧٠. الماوردي ، المرجع السابق ، مج ٣ ، ج ٣ ، ص ٣٦١
٧٠- سورة مريم : ١٩
٧١- ابن كثير ، المرجع السابق ، ص ٦٧١
٧٢- سورة مريم : ٢٢
٧٣- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٦ ، ج ١١ ، ص ١٨ – ١٩
٧٤- المرجع السابق ، نفس المجلد والجزء ، ص ٢٠
٧٥- المرجع السابق ، نفس المجلد والجزء ، ص ١٩
٧٦- القرطبي ، المرجع السابق ، مج ٦ ، ج ١١ ، ص ١٩
٧٧- أبو زهرة ، محمد : محاضرات في النوانية ، ص ١٧
٧٨- سورة المؤمنون: ١٤
٧٩- وهو حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه مسلم : « إن أحدكم يجمع خلقه في ... « والصحيح أن كل هذه الأطوار لخلق الجنين ، تكون في اثنين وأربعين يوما ، كما ورد في حديث حذيفة بن أسيد « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا ، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال : أي رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك « رواه مسلم

٨٠- سورة آل عمران : ٥٩
٨١- سورة آل عمران : ٥٩
٨٢- أبو زهرة المرجع السابق ، ص ١٧
٨٣- سورة مريم : ٣٤
٨٤- التحرير والتنوير ، المرجع السابق ، مج ٨ ، ج ١٦ ، ص ٨٧ - ٩٤
٨٥- أبو زهرة ، المرجع السابق ، ص ١٧
٨٦- سورة المائدة : ١٧
٨٧- المرجع السابق ، مج ٣ ، ج ٣ ، ص ٧٩

PASSIA